إقبال والعرب

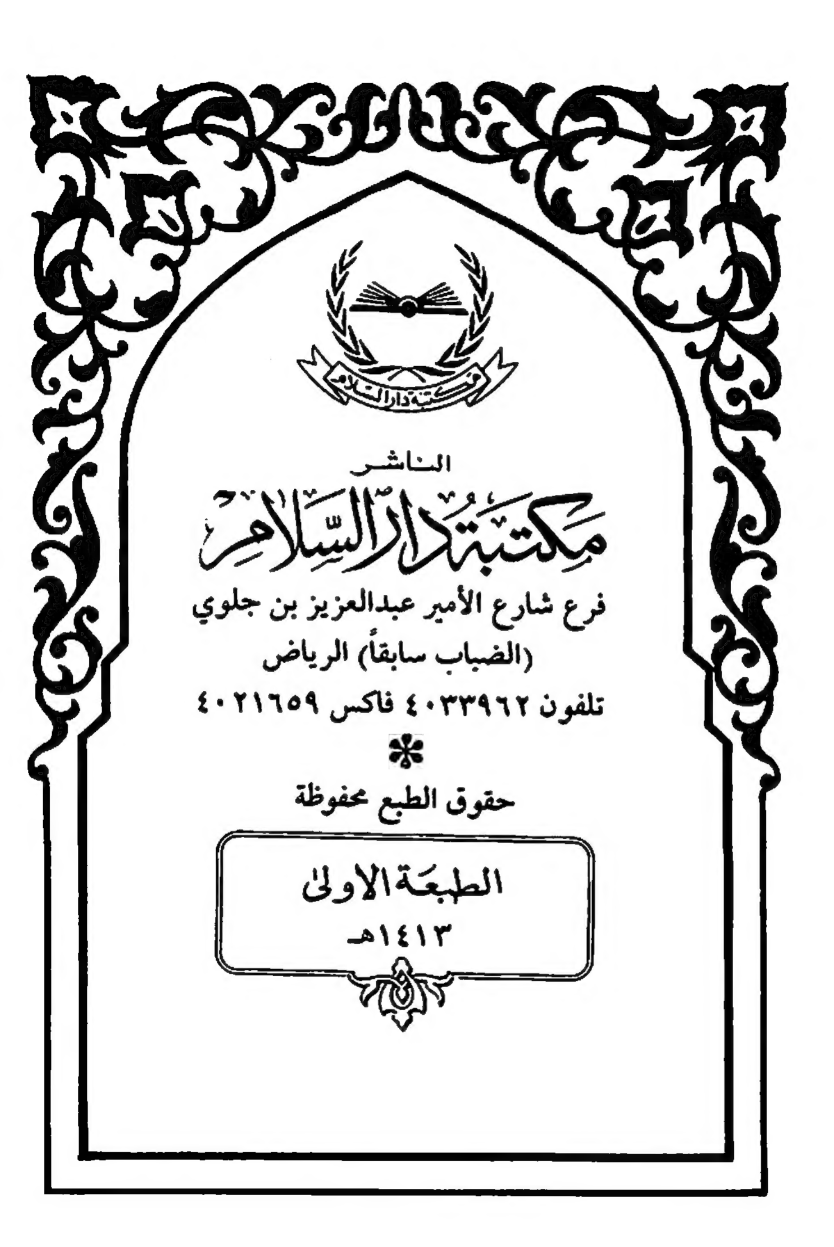
تأليف

دكتور/ سمير عبد الحميد إبراهيم





إقبال والعرب



الناشر
مكتبة دار السلام
فرع شارع الأمير عبدالعزيز بن جلوي
(الضباب سابقاً) الرياض
تلفون ٤٠٣٣٩٦٢ فاكس ٤٠٢١٦٥٩

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ

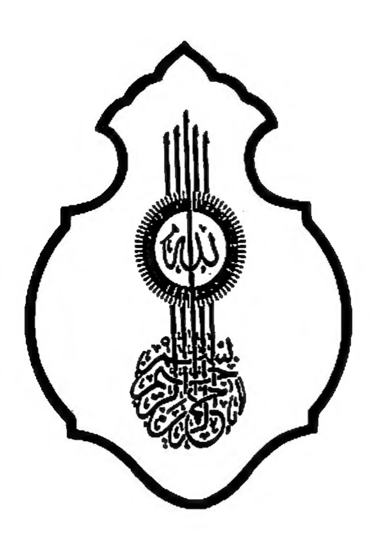




تأليف

د/ سمير عبد الحميد إبراهيم

أستاذ مشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ونبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اهتم العرب بالشاعر والمفكر محمد إقبال، فكتبوا عن حياته وعن مؤلفاته، كتبوا عن فكره وعن أشعاره، وهكذا ترجمت أشعاره إلى العربية في حياته وبعد مماته، كتب عنه أدباء العربية ومفكروها الكبار، واهتم بأدبه وبفكره الباحثون في مختلف جامعات العالم العربي، وأثمرت جهودهم مؤلفات طبعت ونشرت في ربوع العالم العربي، لتغطي بصورة أو بأخرى معظم الجوانب الفكرية والأدبية عند إقبال، وهو ما نلاحظه في الصفحات التالية.

أما الجانب الآخر وهو اهتمام إقبال بالعرب فسوف نناقش فيه اهتمام إقبال بالعربية وأدبها، ونوضح كيف أثر الأدب العربي في فكر إقبال وفي شعره، وكيف تأثر إقبال

بالقـرآن الكـريم والسنة فجاء أدبه أدبًا إسلاميًا بحق.
وتضمن الحديث عن موضوع اهتمام إقبال بالعالم العربي حضـور العـالم العـربي الدائم في شعر إقبال، وبالتالي سنعرض لنماذج من أشعاره تناول فيها الوضع في الشام والاحتـلال الفـرنسي، وجهـاد ليبيا ضد الاحتـلال الإيطالي، كما سنعرض لنماذج شعرية توضح اهتمام إقبال بما كان يدور في مصر من أحداث وصلتها بما كان يدور في الهنـد آنـذاك، أمـا موضوع فلسطين في شعر إقبال فسنفـرد له صفحات وذلك لما لفلسطين من أهمية عند إقبال الذي يفضح في شعره سياسة الغرب والصهيونية، ومن المعروف أن إقبالاً زار فلسطين ونظم بعض الأشعار على أرضها. وفي النهاية سنعرض بالتفصيل علاقة إقبال بالجـزيرة العـربية ومـوقفـه من دعـوة الشيخ محمـد بن عبـدالـوهـاب ثم مكانة الجزيرة العربية في قلب إقبال وأخيرًا إقبال وتوحيد الجزيرة، كل هذا من خلال نماذج من أشعـار إقبـال التي تنـاثـرت كالدرر على صفحات دواوينه الشعرية.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنه قد تم إثبات النصوص الأصلية لأشعـار إقبـال الفـارسية والأردية مع توثيقهـا بمصـادرها وفي النهاية أثبتنا أهـم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها أثناء إعداد هذا البحث المتواضع والله ولي التوفيق.

سمير عبدالحميد إبراهيم
الرياض ـ المحرم ١٤١٢هـ
يوليو ١٩٩١م

إقبال والعرب

إقبال:

محمد إقبال هو أحد أولئك الرجال القلائل الذين بعثوا النور في سماء الشرق من أمثال الأفغاني والشيخ محمد بن عبدالوهاب وغيرهما، ولد في مدينة سيالكوت إحدى مدن البنجاب بباكستان في الثالث من ذي القعدة سنة ١٢٩٤ للهجرة الموافق للتاسع من نوفمبر سنة ١٨٧٧م[1] ونشأ في أسرة طيبة فأبوه الشيخ نور محمد كان يواظب على تلاوة القرآن الكريم، وأمر ابنه بالمواظبة على ذلك، وأمه كانت تقية ورعة تواظب على الصلاة والصوم، وقد توفيت قبل وفاة زوجها بست عشرة سنة (١٣٣٢هـ ـ نوفمبر ١٩١٤م).

---

(١) انظر تحقيق الاختلاف في تاريخ مولده في كتاب محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية، إعداد خليل الرحمن عبدالرحمن ـ ط دار حراء مكة المكرمة ١٤٠٨هجرية ١٩٨٨م.

بدأ إقبال تعليمه الأولي وهو في الخامسة من عمره فدرس في المسجد على يد السيد مير حسن، وكان عالمًا بآداب العربية والفارسية والأردية، وقد نصح والد إقبال بأن يُلحق إقبالاً بالمدرسة الثانوية للإرسالية الأسكتلندية Scottish Mission High School بمدينة سيالكوت، وكان السيد مير حسن يُدرِّس العربية والفارسية في المدرسة المذكورة، فأتم إقبال تعليمه الثانوي ثم انتقل إلى مدينة لاهور أواخر عام ١٣١٣هـ/١٨٩٥م ليدرس بالكلية الحكومية اللغة العربية واللغة الإنجليزية والفلسفة، وبعدها واصل دراسته للماجستير في الفلسفة، وأنهى دراسته عام ١٣١٦هـ/١٨٩٩م، وكان يدرس القانون منتسبًا إلى الجامعة وأكمل دراسته القانونية فيما بعد في أوروبا.

بعد أن حصل إقبال على شهادة الماجستير عين أستاذًا للغة العربية في الكلية الشرقية بلاهور، وذلك في ذي الحجة ١٣١٦هـ/مايو ١٨٩٩م لمدة أربع سنوات، عُيِّن بعدها أستاذًا للإنجليزية والفلسفة بالكلية الحكومية بلاهور في ربيع الأول ١٣٢١هـ/يونية ١٩٠٣م وفي

أواخـــر سنـــة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م حصــل على إجـازة لاستكمال دراسته في أوروبا[٢].

التحق إقبال بكلية الثالوث بجامعة كمبردج في شعبان ١٣٢٣هـ/أكتـوبـر ١٩٠٥م وسجـل في نفس الـوقت موضوعًا للدكتوراه بعنوان «تطور الميتافيزيقا في فارس» Development of Metaphisics in Persia في جامعـــة ميونيخ بألمانيا، وبعد حصوله على درجة الدكتوراة عاد إلى الهند في جمادي الأولى ١٣٢٦هـ/يونيه ١٩٠٨م ليعمل بالمحـامـاة والتـدريس أحيانـًا، وتـزوج إقبـال بثـلاث زوجات، وحدث أن جمع بين أزواجه الثلاثة في بيته في آن واحد[٣].

عاش إقبـال حياة امتلأت بالنشاط العلمي والأدبي الذي وجهه لخدمة الإسلام والمسلمين إلى أن توفاه الله في ربيع الأول ١٣٥٧هـ/إبريل ١٩٣٨م ويُحكى أنه أنشد

---

(٢) انـظر عبـدالـوهـاب عزام، «محمـد إقبال سيرته وفلسفته وشعره» ـ بيروت ١٩٧٢م ـ وأيضًا د. أحمد معوض «العلامة محمد إقبال؛ حياته وآثاره» ـ مصر ١٩٨٠م.

(٣) جاويد إقبال زنده رود جـ١ ط لاهور ١٩٨٢م (بالأردية).

قبيل وفاته رباعيته التي قال فيها:

سرود رفته باز آید که نآید
نسیمے از حجاز آید که نآید
سر آمد روزگار این فقیری
دگر دانائے راز آید که نآید

«نغمات» مضين لي هل تعود؟
أنسيم الحجازِ يعود؟
آذنَت عَيْشَتي بوشك رحيلٍ
هل لعلم الأسرار قلبٌ جديدُ»

بالنسبة للجانب الأدبي عند إقبال يهمنا أن نذكر أنه كتب الشعر بالأردية والفارسية وتمنى أن يكتب بالعربية، كما كتب نثرًا بالأردية إلا أنه لا يدخل ضمن النثر الفني سِوى بعض رسائله لأصدقائه ومعارفه، كما كتب بالإنجليزية أيضًا.

ينقسم الإنتاج الأدبي لإقبال إلى أربع مراحل:

المرحلة الأولى من بداية قوله الشعر وحتى سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، وهذه المرحلة شهدت بعض الأشعار التي تميزت بالتعبير عن الوطن مثل النشيد الهندي، ومنظومة هذا هو وطني وما إلى ذلك[٤]. ويحكى أنه لفت أنظار كبار الشعراء حين ألقى قصيدة مساء أحد أيام جمادى الأولى ١٣١٣هـ/نوفمبر عام ١٨٩٥م جاء فيها:

«لقد التقطت الرحمة الربانية قطرات عرقٍ تصببت من جبيني ـ بسبب شعوري بالخجل والندم ـ وحسبتها دررًا ولآليء»[٥].

وأعلن إقبال أنه لا ينتمي إلى مدرسة دهلي أو إلى مدرسة لكهنو وأنه أسير لجمال الفن وكماله أينما كان.

---

(٤) جامعة البنجاب تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند، المجلد العاشر ص٥٩ ط جامعة البنجاب ١٩٧٢م (بالأردية).

(٥) موتی سمجھ کے شان کریمی نے چن لیے
قطرے جو تھے مرے عرق انفعال کے

ونظم «أنين اليتيم» «خطاب يتيم إلى هلال العيد» وفي عام ١٩٠٤م نظم قصيدة بعنوان «صورة الألم» في حفلة أقامتها جمعية حماية الإسلام وبيعت أبيات المنظومة بيتًا بيتًا[٦].

المرحلة الثانية من عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م إلى عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م وهي تشمل الأشعار التي نظمها أثناء إقامته في أوربا، وتضمنت أشعارهُ نقدًا للحضارة الغربية، وتحرّك إقبال من مرحلة الوطنية إلى مرحلة الشعور الإسلامي والشعور بالأمة الإسلامية، والإشادة بعظمة الإسلام، وتذكير المسلمين بقوتهم وعظمتهم في ظل تمسكهم بالدين الحنيف[٧].

المرحلة الثالثة من عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م إلى عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م وهي الفترة التي شهدت إنهاء حركة الخلافة وحوادث أخرى غيرت الكثير من معالم البلاد

---

(٦) تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند، المجلد العاشر ص ٦٣.

(٧) المصدر السابق ص ٦٠.

الإسـلامية، وظهـور حزب الـرابـطة الإسلامية مطالبًا بالحفـاظ على حقوق المسلمين بالهند. ومن هنا تعكس أشعـار إقبـال أحـداث ما قبل الحرب العالمية والخلافة الإسلامية ثم حركة إحياء جديدة رفعها عالية أمام شباب المسلمـين، أخـذ إقبال يحذر الشباب من فتنة الحضارة الغربية، ويوضح لهم دور الإسلام في الثورة الإنسانية العالمية، كما ركز على إبراز الشخصية الإسلامية لمسلمي الهنـد. وقـد كتب إقبـال في هذه الفـترة ديوان الأسرار والرموز (أسرار خودي ـ رموز بيخودي) بالفارسية لأنها كانت اللغـة المقبولة لدى مسلمي آسيا آنذاك في إيران وأفغانستان والهند ومناطق جنوب روسيا (الاتحاد السوفيتي سابقًـا)، وكتب إقبـال بالأردية منظومة شكوى وجواب شكوى، وقد أشاد بأتاتورك في مواجهته لليونان، وبعد أن ألغى أتاتورك الخلافة تأثر إقبال كثيرًا، وعاتب أتاتورك وحـذر الأتراك من اتجاههم للغرب وكتب ديوان «بانك درا» جرس القـافلة، و«بيام مشرق» رسـالة الشرق ثم كتب بالفارسية «زبور عجم».

الفترة الأخيرة وتمتد من عام ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م إلى عام ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م وفيها تضمنت أشعارُه أفكارًا جديدة فقد تحدث عن السياسات العالمية، وعن التفرقة في السياسة الغربية، وهاجم سياسة اللادينية ونقد النظم الرأسمالية والشيوعية، وأوضح أن الإسلام هو النظام الوحيد الذي يضمنُ نجاة العالم، ومن أعظم قصائد إقبال في تلك الفترة «ساقي نامه»، «مسجد قرطبة»، «ذوق وشوق»، وقد نظم دواوينه «جاويد نامه» بالفارسية و«بال جبريل» أي جناح جبريل بالأردية و«ضرب كليم» بالأردية و«مثنوي مسافر» بالفارسية ومثنوي «بس جه بايد كرد أي أقوام شرق؟» ما العمل إذن يا أمم الشرق؟ بالفارسية و«أرمغان حجاز» بالفارسية والأردية أي هدية الحجاز[٨].

(٨) انظر المصدر السابق ص ٦٢ وأيضًا تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند فارسي أدب المجلد الثالث ص٤٥٦ ـ ٤٧٢.

اهتمام العرب بإقبال

يقول الشيخ أبوالحسن الندوي «كنت مدرسًا في دار العلوم التابعة لندوة العلماء، ومقيمًا مع أخي الأستاذ مسعود الندوي مؤسس مجلة الضياء العربية، وكنا نتناشد شعر إقبال، وكان يغيظنا أن طاغور أشهر في الأقطار العربية من إقبال، وإعجاب إخواننا العرب والأدباء بشعره أكثر، وكنا نعد ذلك تقصيراً منا في التعريف بشعر إقبال، وكلما رأينا تنويهًا بشعر طاغور وإطراءً له في مجلة عربية قوي عزمنا على ترجمة شعر إقبال. . .» وقد قدر الله أن اجتمع الندوي بالشاعر العظيم قبل وفاته، ويقول الشيخ الندوي: «وأذكر أنني استأذنته في ترجمة شعره إلى العربية في ذلك المجلس، فتكرم بذلك، وأنشدته بعض قصائده من «ضرب كليم» وذكر إقبال الأستاذ عبدالوهاب عزام وأنه ينوي ترجمة شعره»[٩].

بعدها كتب الأستاذ مسعود الندوي مقالة نشرت في «الفتح» التي كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب

---

(٩) الندوي: روائع إقبال ص ١٣.

بالقاهرة، وكتب الشيخ أبوالحسن الندوي ترجمة لحياته أذيعت من محطة الإذاعة في جدة، كما ألقى محاضرات بدار العلوم جامعة فؤاد الأول (حاليًا القاهرة) وكتب مقالة بعنوان «محمد إقبال في مدينة الرسول» أذيعت من الإذاعة السورية، ثم «فتر عزمه بعد أن علم أن الدكتور عبدالوهاب عزام عاكف على ترجمة شعر إقبال بالشعر»[10].

وبعد فترة طالت، كتب الشيخ علي الطنطاوي رجاءً في مجلة المسلمون التي كانت تصدر من دمشق إلى الشيخ الندوي لترجمة أشعار إقبال[11] فعاد الندوي لترجمة أشعار إقبال، واقتصر كما قال على الدواوين التي لم يتناولها المرحوم عبدالوهاب عزام بالتعريب[12].

والحقيقة أن إقبالاً عُرف في البلاد العربية بين طبقة المثقفين في فترة أسبق من تلك التي يذكرها الشيخ الندوي، ففي أثناء رحلته إلى لندن لحضور مؤتمر المائدة

---

(١٠) المصدر السابق المقدمة.

(١١) المصدر السابق ص ١٧.

(١٢) عدد ٣ مجلد ٦.

المستديرة عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م - ١٩٣٢م زار مصر وفلسطين، بل يوجد بين رسائل إقبال لأصدقائه عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م ما يدل على أنه كان معروفًا في أوساط المثقفين، فإقبال يحكي في رسالة أرسلها من كمبردج في نوفمبر ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م إلى أحد أصدقائه وتتكون من خمس صفات، عن لقائه ببعض المصريين في السويس ثم يقول: (. . . وصلنا إلى بورسعيد وكانت الساعة الثالثة صباحًا وكنت نائمًا فأيقظني دكتور مصري اسمه سليمان فاستيقظت وجلست معه وتقابلت مع مجموعة من الشباب المصري وكلهم أعضاء في جمعية الشبان المسلمين وسررت كثيرًا بهذا اللقاء، وأرسل إليّ «لطفي بيه» وهو من أشهر المحامين بالقاهرة سلامًا على لسان «الدكتور سليمان» وقدم لنا دعوة لزيارة القاهرة. . .)[١٣].

---

(١٣) روائع إقبال ص ٢٠.

في رجب ١٣٥٠هـ ديسمبر ١٩٣١م وصل إقبال إلى القاهرة قادمًا من الإسكندرية وأقام خمسة أيام قابل خلالها عددًا من رجال العلم والصحافة والسياسة ومنهم شيخ الأزهر ومفتي الأزهر، ومحمد علي وزير الأوقاف الأسبق، والدكتور محمد حسين هيكل مدير السياسة، والشيخ رشيد رضا مدير مجلة المنار، كما ألقى محاضرة في حفلة جمعية الشبان المسلمين وكلّف وكيل الجمعية الشيخ عبدالوهاب النجار الدكتور عبدالوهاب عزام أن يعرف الحضور بالضيف الكريم فتحدث الدكتور عزام عن إقبال على قدر معرفته به يومذاك وأنشد بعض الأبيات من ديوان «رسالة المشرق»[١٤] ثم غادر إقبال القاهرة إلى فلسطين ووصل القدس صباح السادس من ديسمبر وكان من بين مستقبليه الشيخ المفتي أمين الحسيني.

يفهم مما سبق أن الدكتور عبدالوهاب عزام هو أول من قدم إقبالاً إلى القراء العرب، وقد ترجم ديوان «بيام مشرق» أي رسالة الشرق ونشر عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م

(١٤) ظهور اظهر: إقبال العرب على دراسات إقبال، ص ١١٨ ط المكتبة العلمية، لاهور.

في كراتشي كما ترجم ديوان «ضرب الكليم» ونشر بالقاهرة عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م وبعدها ترجم «إقبال في مسجد قرطبة وطبعته سفارة باكستان في جدة عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م وقام بعدها بترجمة الأسرار والرموز وطبع بالقاهرة عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م ثم نشر كتابًا عن إقبال حياته وسيرته وفلسفته في عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م بالقاهرة وفي نفس العام نُشر للشيخ أبي الحسن الندوي كتابه «روائع إقبال» عن دار الفكر بدمشق وأعيد نشره في بيروت عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م مع زيادات، وأعيد طبعه مرة ثالثة عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م في الكويت. وكان الأستاذ محمد حسن الأعظمي مع الشيخ الصاوي شعلان قد كتب كتابًا بعنوان «فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان» وطبع بالقاهرة عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م ثم أعيد طبعه بدمشق عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م كما كتبا أيضًا كتابًا بعنوان «الحياة والموت في فلسفة إقبال» صدر في كراتشي سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، وقام الشيخ الصاوي شعلان فنشر مختارات من شعر إقبال عام

١٣٩٤هـ/١٩٧٤م في إسلام آباد وكان قد نشر الأنشودة الإسلامية في عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م في طهران وفي عام ١٣٦٣هـ/١٩٧٣م صدرت له ترجمة منظومة «شكوى وجواب شكوى» ثم صدر له بعد ذلك قصيدة «حديث الروح» و«طلوع إسلام» بالقاهرة، وكل ما ذكرناه هنا مأخوذ - في معظمه - عن الكتاب الذي كتبه مع الأعظمي بعنوان «فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان». وكتب الشيخ شعلان أيضًا كتابًا بعنوان «إيوان إقبال» صدر في القاهرة.

وكتب الأستاذ نجيب الكيلاني كتابًا بعنوان «إقبال الشاعر الثائر» نال عليه جائزة وزارة التربية والتعليم لعام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م (قسم التراجم والسير) وصدرت طبعته الثالثة عن مؤسسة الرسالة بدمشق ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

اهتم الكثير من الأدباء العرب والدراسين العرب بإقبال إلا أن الاهتمام كان بقدر معرفتهم بإقبال عن طريق ما ترجمه الدكتور عزام في الخمسينات، فكتبوا مقالات متفرقة، وألقوا بأحاديث هنا وهناك في تقريظ

إقبال، وفي بيان عظمته مثلما فعل عباس محمود العقاد، الذي رأى أن تحية العظماء في ذكراهم فريضة واجبة في كل زمن وفي كل وطن[١٥] وكما فعل الدكتور محمد حسين هيكل الذي كتب عن إقبال شاعرًا إسلاميًا وشرح نظرية الذات عند إقبال[١٦] وكتب الأستاذ أحمد حسن الزيات عن تقوية الذات عند إقبال، أما طه حسين فعقد مقارنة طيبة بين إقبال وأبي العلاء في مقال بعنوان «إقبال وأبوالعلاء»[١٧] وشكر في نهاية المقال الدكتور عزام الذي كان صلة بينه وبين إقبال. أما الأستاذ فتحي رضوان الذي رافق إقبالاً حين زار القاهرة فقد كتب عن إقبال الفيلسوف ونقل ما كتبه الدكتور عبدالوهاب عزام[١٨]، وممن تأثروا بإقبال فلسفيًا الدكتور عثمان أمين أستاذ الفلسفة بآداب القاهرة ـ سابقًا ـ والذي أحدث مذهبًا فلسفيًا سماه «الجوانية» والجوانية هي الذاتية التي ركز

(١٥) عزام: محمد إقبال، ص ٦٥ وما بعدها طبعة القاهرة.

(١٦) إقبال العرب على دراسات إقبال ص١.

(١٧) المصدر السابق ص ٨ ـ ١١.

(١٨) المصدر السابق ص ٣١ ـ ٣٩.

عليها إقبال إلا أن د. عثمان أمين حاول تفسير كتابات إقبال على ضوء كتابات فلاسفة الغرب مثل كانت وغيره[19] كما كتب الدكتور أحمد الشرباصي مقالاً بعنوان «من نفحات إقبال شاعر الإسلام الأكبر» وأخذ جميع استشهاداته مما ترجمه عزام.

حصل كاتب هذه السطور على درجة الماجستير عن أطروحة بعنوان «إقبال وديوان أرمغان حجاز عصره، فكره، أدبه ترجمة وتحليل الديوان» وذلك عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م وطبع البحث في لاهور باكستان عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م ويتناول البحث دراسة لعصر إقبال وفكره وأدبه الفارسي والأردي مع دراسة للديوان وترجمته ترجمة كاملة بقسميه الفارسي والأردي، وفي عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م أعدتُ نشر ترجمة الدكتور عزام لديوان الأسرار والرموز مع دراسة وتحقيق واستكمال ترجمة بعض الأشعار التي تركها د. عزام دون ترجمة، وصدر الكتاب عن المكتبة العلمية ومطبعتها بلاهور، ثم

---

(١٩) المصدر السابق ص ٥٣.

صدرت له طبعة ثانية عن دار الأنصار بالقاهرة عام ١٤٠١هـ/١٩٨٠م وعن نفس الدار صدر لنا كتاب بعنوان السبيل إلى وحدة العالم الإسلامي بين إقبال والمودودي، وكان ذلك عام ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

دفع الاهتمام بإقبال بعض الباحثين إلى تغيير اهتماماتهم والتركيز على أعمال إقبال، فقد قام الدكتور حسين مجيب المصري ـ الذي وجه جل اهتماماته إلى الأدب التركي أساسًا ـ بترجمة ديوان «جاويد نامه» شعرًا بعنوان «في السماء» ونشر بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م وكان قد سبقه إلى ترجمته نثرًا مع دراسته د. محمد السعيد جمال الدين ونال بذلك درجة الدكتوراة وقد نشر بحثه عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، وبعدها قام الدكتور مجيب المصري بترجمة الجزء الفارسي من «أرمغان حجاز» شعرًا ونشره عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ثم ترجم «كلشن راز جديد» أي روضة السر الجديد شعرًا أيضًا بعدها بعام، وقام أخيرًا بإصدار كتاب بعنوان «إقبال والقرآن».

وفي العراق صدرت بعض الكتيبات تناولت مختارات من شعر إقبال بالدراسة فصدر للأستاذة حمدية مجيد كتاب بعنوان «إقبال الشاعر والفيلسوف والإنسان» ونشر بالنجف عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م وفي سوريا أصدر أسعد محفل مع آخرين كتابًا بعنوان «ذكرى إقبال»، وصدر في دمشق وهو بدون تاريخ، وفي اليمن ألقى الأستاذ عمر بهاء الدين أميري محاضرة بجامعة صنعاء في رجب عام ١٤٠٤هـ/أبريل ١٩٨٤م بعنوان «في رحاب الفكر الإسلامي العظيم - إقبال والزبيري»، والزبيري هو الشاعر اليمني الكبير محمد محمود الزبيري وطبعت المحاضرة في جدة ١٤٠٨هجرية عن سفارة باكستان، وفي مكة صدر كتاب بعنوان «إقبال وموقفة من الحضارة الغربية» لخليل الرحمن عبدالرحمن عن دار حراء ١٤٠٨هجرية/١٩٨٨م وهو بحث نال به درجة الماجستير، هذا كما قامت وحدة التعليم بالسفارة الباكستانية بالرياض وجدة حديثًا بإصدار كتيبات عن «إقبال والقضايا المعاصرة» و«إقبال والأمة الإسلامية» و«فلسفة الحياة والموت عند إقبال» و«المسئولية الأخلاقية

في فكـر إقبـال»، وفي لاهور صدر عن المكتبة العلمية كتـاب بعنـوان «إقبال العرب على دراسات إقبال» وهو تجميع لبعض المقـالات التي كتبهـا المفكـرون والأدباء العـرب قام بتجميعهـا د. ظهـور أظهـر أستاذ العربية بجـامعـة البنجـاب، هذا غير ما نطالعـه في الصحف والمجلات مما يكتب عن الجوانب المختلفة في فكر وأدب إقبـال. . . وهكـذا ذاع صيت إقبـال وعـرفـه الجميع وصارت أشعاره تنشد وتغنى بالعربية فضلاً عن الأردية والفارسية.

إهتمام إقبال بالعرب

ينقسم حديثنا في هذا هذا الصدد إلى قسمين:

الأول: عن اهتمام إقبال باللغة العربية والأدب العربي والثـاني عن اهتمامه بالعالم العربي ومجريات الأمور فيه، وسيكـون حديثنا هنا مستمدًا من أدب إقبال الشعري سواء ما كتبه بالفارسية أو ما كتبه بالأردية.

كما ذكـرنا بدأ إقبال تعليمه الأوّليّ في مدرسة ملحقة بالمسجد، فدرس القرآن الكريم وعلوم الدين، كما درس آداب اللغة العربية على يد الشيخ مير حسن، كما تأدب بآداب القرآن الكريم على يد والده الذي كان يواظب على تلاوة القرآن والذي أمر أولاده بالمواظبة عليها كل يوم، وإقبال نفسه يرجع سر بلاغته التعبيرية إلى توجيهات أبيه الذي عوّده على تلاوة القرآن الكريم صباح كل يوم، ثم درس إقبـال في الكلية الحكـومية اللغـة العـربية مع الإنجليزية والفلسفة وتتلمذ على يد السير توماس أرنولد الذي عمل أستاذًا للغة العربية في جامعة لندن قبل أن

يعمل أستاذًا للفلسفة في جامعة عليكره سنة ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م انتقل بعدها إلى لاهور، وتشير المصادر المختلفة إلى أنه أعجب كثيرًا بذكاء تلميذه محمد إقبال وشجعه على مواصلة دراساته العليا.

تولى إقبال تدريس اللغة العربية في الكلية الشرقية بلاهور في ذي الحجة ١٣١٦هـ/مايو ١٨٩٩م، واستمر في ذلك عدة سنوات، وفي لندن حدث أن اضطر الأستاذ أرنولد إلى الانقطاع عن عمله كأستاذ للغة العربية في جامعة لندن لبضعة أشهر فاختار إقبالًا ليحل محله أستاذًا للغة العربية لفترة ستة أشهر[٢٠].

كان إقبال معجبًا أشد الإعجاب بالشعر العربي القديم فقد أعجبه صدق الشعر العربي وواقعيته، وما يشتمل عليه من معاني البطولة والفروسية، وكان يحفظ الكثير من أبيات ديوان الحماسة وغيرها، وكان يرى أن العقل العربي كان أقوى على فهم الإسلام فهمًا صحيحًا وأجدر بحمل أمانته[٢١]. وينقل الشيخ أبوالحسن

(٢٠) زنده رود جـ١، ص ١٢٥.
(٢١) الندوي، روائع إقبال ص ١٤.

الندوي حديث إقبال إليه عن اللغة العربية فيقول: «قال ـ أي إقبال ـ أشرت على بعض أمراء المسلمين أصحاب الإمارات الهندية بنشر الإسلام في غير المسلمين ونشر الثقافة الإسلامية، وإحياء اللغة العربية وآدابها في هذه البلاد. . . »[22].

والواقع أن تفكير إقبال بأكمله تفكير إسلامي، إذ أنه جمع أفكاره مباشرة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهكذا وضحتْ الروحُ الإسلامية في شعره وفي مقالاته وفي خطبه، وقد أقام إقبال مدرسته الفكرية الخاصة بعد أن طابق أفكار وآراء أعظم مفكري الشرق والغرب على الحقائق القرآنية، وصبغ تصوره للحياة بصبغة علمية في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية[23]. والقرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر الأدب الإسلامي وغذاؤه ونبعه ورواؤه وقوته، ورغم أن أدب إقبال لم يصدر باللغة

---

(٢٢) المصدر السابق، ص ١٦.

(٢٣) سمير عبدالحميد، إقبال وديوان أرمغان حجاز طبع المكتبة العلمية بلاهور، ص ٣١.

العربية إلا أنه حمل فكرة الإسلام وعاطفةِ الإسلام، كما أن اللغة العربية ظَلَّلَتْ أدب إقبال بفرعيه الفارسي والأردي.

من الملاحظ أن كل من كتب عن إقبال كتب عن تأثره بجلال الدين الرومي ونيتشه وبرجسون وفيشته والجيلي، وتأثره بالفلسفة الهندية القديمة والفلسفة الأوروبية الحديثة والشعراء الألمان والإيطاليين والإنجليز، إلا أن الأدب العربي الذي يُعد عنصرًا هامًا جدًا بل أساسيًا جدًا عند إقبال، قد تجاهله الكثيرون.

والأثر الذي تركه الشعراء العرب في الشعراء الإيرانيين لا يحتاج إلى بيان، وعن طريق الفارسية إنتقل هذا التأثير إلى الأردية، ولا نُغالي إذا قلنا إن مضامين وأفكار الشعراء العرب قد تركت أثرها بوضوح على كل الشعراء المسلمين، فحياة العرب كانت تقوم على السفر والترحال، فهم اليوم هنا وغدًا هناك بحثًا عن رزق جديد وعيون ماء وعن مروج ومراع جديدة، وترك هذا في شعرائهم أثره فظهرت لديهم المنازل، وفراق الأحبة وفرقة الطريق والقوافل العابرة... إلخ وانتقل هذا بدوره إلى

شعراء المسلمين، وهكذا تأثر إقبال بالأدب العربي.

رغم أن إقبالاً أجاد الفارسية أكثر من العربية إلا أن العــربية تغلغلت كثـيراً في روحـه، فالعـربية متعلقـة بالعرب، والعرب أعزاء عليه، وقد أوجد هذا نصيبًا من الحب في قلبه وفي عقله مما أثر على بيئته الذهنية، ومن يدري فقد تكون حركة تسلسل الحياة في الجزيرة العربية وما فيها من حركة دائمة دائبة عاملاً هامًا وأساسيًا في بناء النـظام الفكـري العام لإقبال، ومن هنا كان لكل من إقبال وطاغور طريقٌ منفصل، فالإثنان يرجعان إلى أصل واحد كما أنه ليس هناك أي فرق بينهما سواء في التاريخ السياسي أو الـطبيعـة الجغـرافية لكـل منهـما، إلا أن الجغـرافية الـذهنية والتـاريخ الفكري قد تغير، فورث أحـدهم فلسفـة السكون والآخر فلسفة الحركة، ومن المـلاحظ أن الارتقاء الفكري عند إقبال كان تدريجيًا، فقبـل سفـره إلى أوروبا وفي الجزئين الأولين من ديوانه «بـانك درا» نشاهد قلة التأثيرات العربية والإسلامية، وبعد العودة من أوروبا تغير الخط الفكري، فتراجع عن القومية واتجه إلى الأمة الإسلامية، وقد بدأ هذا واضحًا

في الجزء الثالث من ديوانه «بانكَ درا» وفي «أسرار خودي» وظهر جليًا في ديوانه الأخير «أرمغان حجاز».

يظهر الأثر العربي في كلام إقبال بطرق مختلفة، فبعضه واضح وصريح وبعضه بالإشارة والتلميح، والبعض الآخر يظهر من خلال الصور الخيالية في الشعر، وإقبال يصرح بأن العرب هم صانعو التمدن ومؤسسو النظم الأخلاقية، ويبين أن العرب الذين سكنوا الصحراء هم فاتحو العالم وهم زينتُه، وفي القصص التي استوحاها إقبال من القرآن الكريم والحديث الشريف ونظمها في شعره تأثر فيها إلى حد كبير ببعض عناصر الأدب العربي، ويتضح هذا في ديوان «بانكَ درا» حين نظم قصة الخضر، فهو يجعل القاريء يشعر ويحس بأصوات الرحيل في الصحراء وقيظِ الرمال والقوافل وهي تلقي برحلها حول عيون الماء، وكذلك مناظر النخيل في الصحراء والواحات، تلك التي لم يشاهدها إقبال بعينيه، فقد مر بالقاهرة والقدس فقط، وما ذكره عن صحراء الجزيرة العربية كان من بنات خياله، ولقد أوحت كلمة النخيل لإقبال أن يُنشد نظمه الشهير «ذوق وشوق» في

القدس حيث استخدم في شعره كلمات مثل «جبل اضم» ويذكر «كاظمة» التي كانت العرب تطلقها على منزل الحبيب فالشاعر العربي يقول:

ألم يبلغك ما فعلت ظباه   بكاظمة غداة لقيت عمرا

ومثل هذه الكلمات التالية وردت بكثرة في شعر إقبال: القافلة ـ الزمام ـ المقام ـ السبيل ـ الخيمة ـ النخل والنخيل وغيرها من الكلمات العربية.

وفي منظومة «مسجد قرطبة» يخاطب إقبال المسجد على طريقة الشعر العربي، ومع أنه أنشد المنظومة في أسبانيا إلا أنه ساح في فضائها بذهن عربي، ولهذا ظهر النظم بمزاج عربي فهو يشبه أعمدة المسجد بكثرة النخيل، نخيل صحراء الشام، وقد اختار صحراء الشام خاصة لمناسبتها لهذا المقام، فمن الشام كان عبدالرحمن الناصر باني المسجد ومثل هذه الأشياء نجدها في ديوانه «بال جبريل» وكذلك في «جاويد نامه» فإقبال يخاطب المهدي فيتحدث عن الناقة وعن الصحراء والنخيل ويثرب، أما إذا انتقلنا إلى محتوى ديوان «جاويد نامه» فإننا نقول بكل تأكيد أن الخلفية الأساسية للديوان

عربية، فهو يشدنا إلى كتاب أبي العلاء المعري «رسالة الغفران»، وإلى محيي الدين بن عربي وكتابه الفتوحات المكية وقد تأثر دانتي بالأخير، وأشار إقبال إلى هذا في أكثر من موضع[٢٤].

ذكر إقبال من الشعراء العرب: العتبي والمعري وعمرو بن كلثوم والبوصيري وكعب بن زهير وزهير بن أبي سلمى وامرؤ القيس وغيرهم، وهاهو في ديوان «أرمغان حجاز» يضمن أشعاره بيتًا لعمرو بن كلثوم فيقول في إحدى رباعياته:

صبنت الكأس عنا أم عمرو
وكان الكأس مجراها اليمينا

اگر این است رسم دوست داری
بديوار حرم زن جام و مينا

وإقبال يستخدم في شعره فتيل الرهبان الذي ذكره شعراء العرب فامرؤ القيس يقول:

تُضيء الظلامَ بالعشيِّ كأنها
منارةُ ممسِ راهبٍ متبتلِ

---

(٢٤) د. عدنان النحوي، الأدب الإسلامي.

وإقبال يقول ما ترجمته:

إن ليل هذا الجبل والوادي صدر مظلم
ليس فيه طائر ولا موج ولا ماء

صار مضيئًا من قنديل الراهب
حتى كأنك تظن أن الشمس قد طلعت

وفي مثنـــوي «بس جه بايد كرد أي أقـــوام شرق» «مـاالعمـل إذن يا أمم الشرق؟» ينصـح إقبال العرب بالتخلص من عبودية الإفرنج قائلاً ما ترجمته:

لو أردت النجاة من خداعه فأبعد جمالَه عن حوضِك

وقال زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لم يظلم الناس يُظلَم

وفي قرطبة يخاطب إقبال مسجد قرطبة:

جلالـك وجمـالـك دليل على الإنسـان الرباني
إن الله جميل وجليل وأنت فيك الجمال والجلال

ويذكرنا هذا بقول عبدالرحمن الناصر باني مسجد قرطبة:

إن البنـــاء إذا تعـــاظم قدره
أضحى يدل على عظيم الشأن

ويقول أبوفراس الحمداني:

صنـائـع فاق صانعهـا ففاقت
وغـــرس طاب غارسهـا فطابـا

والرمز في شعر إقبال كثير، وقد حاول إقبال أن يوجد بمساعدة رمزيته خيالاً مرئيًا للعالم غير المرئي، ورمزيته لا تعطي شكلاً ما لكن امتزاج الحياة وتفتح الحياة واضح فيها فهي لا تُسمي الأشياء بأسمائها بل تضع إشعاعاتها، وجمال رمزية إقبال يكمن أساسًا في أنها تختلف تركيبًا عن تلك التي استخدمها الشعراء الآخرون سواء في الأردية أو الفـارسية، ذلـك أن إقبـالاً استعـان باللغة العربية والشعر العربي والتاريخ العربي، فرمزية إقبال نراها في: «إبراهيم ونمرود - موسى وفرعون - حسين ويزيد».

فهذه قصص للاجتهاد الديني في تاريخ الإنسان إلا أنها عند إقبال تدل على النضال الأبدي بين الخير والشر.

ومحمود واياز تدل على حب الملك لخادمه لكنها عند إقبال تعبر عن العلاقة بين العاصمة وعمالها، وهكذا.

ومن الصور الجميلة التي استوحاها إقبال من هضاب «نَجْدٍ» تلك الصورة الشعرية التي رسمها لمجنون ليلى فيقول: «إن سبب اضطراب المجنون هو أن المحمل خال وليلى قد اختفت»[٢٥] ومن التشبيهات الجميلة التي ساقها إقبال انتقاده لجفاف العلم واتساعه وتضخمه على حساب العاطفة الدينية فيقول:

«إن عالِمَ الدين هذا لا يحمل همًّا، إن عينَه بصيرة ولكنها جافة لا تدمع، لقد زهدتُ في صحبته لأنه عالِم ولا هم، وأرض مقدسة، ليس بها زمزم».

فإقبال شبّه العالِمَ بالحجاز لأنه يحمل علمًا كثيرًا وعقلاً كبيرًا، ولكنه مع الأسف رمال جافة وجبال جرداء ليس فيها زمزم، ومكة ببيتها وبزمزمها، ليست برمالها وبطحائها وجبالها فحسب، ولنقرأ الأبيات التالية التي تحمل صورة شعرية جميلة ومعبرة:

«إن إخواني لم يعلموا ما قلتُ لهم
إنهم لم يجنوا الرطَبَ من نخلِ شعري

---

(٢٥) إقبال وارمغان حجاز، ص ٨٥.

ذلك لأنهم لا ينظرون إليّ إلا كشاعر أو متغزل»[٢٦].

وهناك صورة أخرى جميلة فإقبال يصف النجوم كحصاد في حقل يُجمع في مزرعة الليل[٢٧].

وتحت تأثير الشعر العربي عارض إقبال بشدة الخروج على التقسيمات العروضية العربية قائلاً: «إننا لو خالفنا قاعدة العروض فإن قلعة الشعر تنهدم، وعلى الشعراء الحاليين أن ينهجوا أسلوب التعمير لا التخريب»[٢٨].

ومن الجدير بالذكر هنا أن إقبالاً أدخل الكلمات القديمة والتعبيرات القديمة في استعمالات حديثة وخاصة عن الموضوعات الدينية وبهذا أحيا ألفاظًا ماتت في عالم الشعر الأردي مثل: طواف ـ حج ـ زكاة ـ أذان ـ جماعت (أي جماعة) ـ حرم ـ توحيد ـ جهاد ـ مسيح ـ جمال ـ جلال ـ نور كليم ـ ضرب كليم ـ خليل ـ معجزة ـ وحي ـ مصحف ـ جبريل. واستحدث تعبيرات جديدة

---

(٢٦) سليم جشتي، شرح أسرار ورموز ص٤٩٤.

(٢٧) إقبال العرب على دراسات إقبال، مقال الندوي ص٦٩.

(٢٨) S. A. Wahid, Thoughts And Reflections of Iqbal P. 122

مثل: افتراق بولهبي ـ سرور أزل ـ فطرت أحرار ـ محروم يقين ـ مسيح بي صليب.

ومن المصطلحات المتنوعة لديه: مجلس شوري ـ طلسم سامري ـ تقدير أمم ـ قنديل رهباني ـ فقر غيور ـ شراب تقدير ـ ذوق تبسم ـ فيض شعور ـ تقدير حواس ـ تسخير جهات ـ كوكب تقدير ـ تقويم حيات.

وقد برع إقبال في استخدامه للمفردات العربية في شعره ولنقرأ هذا البيت من ديوان جاويد نامه بالفارسية:

صاحب قرآن و بے ذوق طلب
العجب ثم العجب ثم العجب

يقول إقبال:

صاحب القرآن ماذاق الطلب

العجب ثم العجب ثم العجب

فذكره للعجب هنا ثلاثًا وفي شطر بالعربية إنما يدل على رغبة في توكيد ما يقول: وهو هنا يميز كلامه بالعربية ليكسبه الأهمية ويخلع عليه فصاحة لغة الضاد لغة القرآن[29].

---

(٢٩) سيد جراغ حسن، إقبال نامه ط تاج كمبني كراتشي.

ويقول إقبال في الديوان سابق الذكر:

حرف (إني جاعـل) تقـدير أو
از زمـين تا آسـمان تفسـير أو

يقول:

قول (إني جاعـل) تقـديره
بين أرض وسـما تفـسـيره

وهـو هنـا يشـير إلى ما جاء في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة..﴾ الآية.

وإقبال يشير إلى قصة يوسف عليه السلام في جاويد نامه قائلاً ما ترجمته:

يظهر الياقوت من صخر الطريق
يوسـف يخرج من جب عمـيق
ويُوَلِّي عن ديار من كفـر
ليرى من ذلـك الكفـر المفـر

ويقول أيضًا:

ومن ريح القميص فنل نصيبًا

تنسم من ضفاف النيل طيبًا[30]

وأوجد إقبال في الأردية مصطلح «يد بيضا» وجعله رمزًا لليد القادرة على انجاز العمل المثمر الذي يفيد من ثماره الناس كافة. وقد استوحاه من قوله تعالى في سورة طه:

﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى...﴾ الآية

وإقبال يخاطب حليم باشا الصدر الأعظم التركي فيقول له:

تو کلیمی چند باشی سر نگوں
است خویش او آستین آور بروں

ارفع الراس تكلم يا كليم
من يديك يصدر الامر العظيم

فطرت تو مستنیر از مصطفیٰ ست
باز گو آخر مقام ما کجا ست

(٣٠) د. حسين مجيب المصري، إقبال والقرآن ص ١٧٣.

أنت حقًا مستنير من محمد

وضعنا الحالي فصفه أين نوجد[٣١]

ولنرى كيف أورد إقبال جملة: «لا خوف عليهم» في شعره وهي صفة للمؤمنين ذكرها الله ـ تعالى ـ في سورة يونس، وقد أوردها إقبال في قصة موسى مع فرعون في ديوانه «بس جه بايد كرد أي أقوام شرق؟» ماذا ينبغي العمل ياأمم الشرق؟ يقول ما ترجمته:

درس «لاخوف عليهم» كان درسًا

أودعته الصدر للإنسان نفسًا

سِحر دُنياك شرور فاتركنه

«ربي الأعلى» بها السحر احطمنه[٣٢]

والأمثلة كثيرة يمكن أن نُطالعها في دواوين إقبال وأشعاره التي ترجمت إلى العربية، ونختم حديثنا عن تأثير العربية في شعر إقبال بالأبيات المترجمة التالية:

---

(٣١) انظر جاويد نامه ص ٢٢٥ والترجمة للدكتور المصري.

(٣٢) من ديوان بس جه بايد كرد ص ٣٤٢ والترجمة للدكتور المصري.

أهـل حرص أي شيء حققـوا

«لن تنـالـوا الـبر حتى تنفقوا»

ليس من هذا الـربـا إلا الفتن

من درى ما لذة القرض الحسن؟

خبــزنــا والمـاء تحوي المـائـدة

إنـما النـاس كنفس واحـدة[٣٣]

---

(٣٣) الترجمة للدكتور المصري.

اتصال إقبال بالعالم العربي

استقل إقبال الباخرة من بومباي في طريقه إلى انجلترا عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، توقفت الباخرة في عدن وبورسعيد، لم يخرج إقبال من الباخرة في عدن بسبب شدة حرارة الجو، ولكنه خرج متنزهًا في بورسعيد فزار بعض المدارس والمساجد[٣٤] يقول إقبال في خطاب لأحد أصدقائه:

«وصلنا إلى بورسعيد وكانت الساعة الثالثة صباحًا، وكنت نائمًا فأيقظني دكتور مصري اسمه سليمان، فاستيقظت وجلست معه، وتقابلت مع مجموعة من الشباب المصري وكلهم أعضاء في جمعية الشبان المسلمين، ولقد سررت بهذا اللقاء وأرسل إلينا «لطفي بيه» وهو من أشهر المحامين في القاهرة سلامًا على لسان الدكتور سليمان، وقدم لنا دعوة لزيارة القاهرة..»[٣٥].

---

(٣٤) رفيع الدين هاشمي، خطوط إقبال ط لاهور ١٩٧٦م.

(٣٥) ترتيب د. ظهور أظهر، إقبال العرب على دراسات إقبال، ص ١١٨.

ثم زار إقبال مصر قبل حضوره المؤتمر الإسلامي بالقدس في أول ديسمبر عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، وصل الإسكندرية ومنها إلى القاهرة والتقى كما ذكرنا قبلاً بكبار العلماء في مصر، وألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين، وبعدها اتجه إلى فلسطين لحضور المؤتمر الإسلامي العالمي حول قضية فلسطين في القدس، يقول إقبال عن زيارته لفلسطين:

«إن رحلة فلسطين سوف تبقى خالدة في تاريخ حياتي ففي أثناء هذه الرحلة اجتمعت مع ممثلي الدول الإسلامية، ولقد تأثرت كثيراً بشباب سوريا، فقد رأيت فيهم نوعًا من التدين والتحمس»[٣٦].

واتصل إقبال مرة أخرى بمصر عن طريق المراسلة، فقد أرسل خطابًا إلى الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر آنذاك طالبًا منه أن يرسل عالمًا جيدًا على نفقة

---

(٣٦) خليل الرحمن عبدالرحمن، محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص ٢٤٠ وما بعدها ط دار حراء مكة المكرمة ١٤٠٨هجرية.

الأزهــر يتقن الإنجليزية بجـانب العلوم الإسـلامية، والخطاب يلقي الضوء على أسلوب إقبال العربي ومما جاء في الخطاب:

«إنا أردنا أن نؤسس في قرية من قرى البنجاب إدارة مهمـة لم يَسْبق إليها أحد إلى الآن ويكون لها شأن مع المعاهد الدينية الإسلامية إن شاء الله.

إننـا نريد أن نجمـع عدة رجال من الذين فازوا في العلوم الجـديدة مع عدة من الذين تخصصوا في العلوم الدينية ويكون فيهم صلاحية ذهنية بأعلى ما تكون، وهم مستعـدون لصرف وقتهم في خدمة الدين الإسلامي، ونجعـل لهم رواقًـا متنحيًا عن شعب الحضارة الجديدة والثقـافـة الحـديثـة، ليكون لهم مركزًا علميًا إسلاميًا، ونـرتب لهم فيه مكتبة يكون فيها كل ما يُحتاج إليه من الكتب الجديدة والقديمة...»[٣٧].

---

(٣٧) إقبال العرب على دراسات إقبال ـ الصفحات المعنية.

العالم العربي في شعر إقبال

رغم إن إقبالاً لم ينتقل إلى بقية أرجاء العالم العربي بجسده إلا أنه انتقل إليه بروحه وبذهنه وعاش في ربوعه من مشرقه إلى مغربه.

حين وصل إقبال إلى أسبانيا عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م نزل في أحد الفنادق الكبرى في قرطبة وهناك قال لمدير الفندق: «أين أحفاد العرب في هذه البلاد؟» فقال له المدير: إنني منهم ثم جمع لديه وجوهًا من خيارهم فأنشد إقبال ما ترجمته:

إلى اليوم تلك ظباء الحمى
بأعينهن المراض الحسان
وألحاظها لم تزل قادرات
على صيد أسْد الشَّرى كُلَّ آن
وتلك المحاسن طبع الحجاز
وهذا النسيم عبير يماني

نُحـيي الجنـانَ وسكـانَها

وإن زال سكانُ تلك الجنانِ[٣٨]

في قرطبة وقف إقبال أمام جامعها العظيم وقفةَ خاشعٍ أمامَ الإيمان الذي جاء بتلك الجماعات المؤمنة العربية التي كان يقودها صقر قريش عبدالرحمن الداخل مؤسس هذا المسجد العظيم، رأى إقبال أن هذا المسجد العظيم صورةٌ للمسلم في هذه الأرض، تجلت فيه أخلاق المسلم وصفاته: علو الهمة واتساع في القلب، وبساطة في المظهر، وبراءة في النية، وثبات على الحق وإعلاء للعقيدة والمبدأ وجمع بين الجمال والجلال والأنفة والتواضع[٣٩].

وتذكر إقبال بهذا المسجد أهلَه الذين رفعوه وشادوه، وتذكر بهم العقيدة التي كانوا يدينون بها ورسالتَهم التي كانوا يعيشون لها، فيخاطب المسجد قائلًا:

«انظر أيها المسجد - إلى هذا الهندي - الذي نشأ بعيدًا

---

(٣٨) محمد حسن الأعظمي والصاوي شعلان، فلسفة إقبال ص ٢٢.

(٣٩) الندوي، روائع إقبال.

عن مركز الإسلام ومهد العروبة، نشأ بين الكفار وعباد الأصنام، كيف غمر قلبه الحبُّ والحنان وكيف فاض قلبُه ولسانُه بالصلاة على نبي الرحمة الذي يرجع إليه الفضل في وجودك، كيف ملكه الشوق وكيف سرت في جسمه مشاعرُ التوحيد والإيمان».

ويُذكّره المسجد بالمسلم العظيم الذي رفعه وشاده وبالأمة الإسلامية العظيمة ويرى إقبال أن المسجد صورة صادقة للمسلم فكلاهما يجمع بين الجلال والجمال وكلاهما محكم البنيان كثير الفروع والأغصان، ويلتفت إلى المسجد فيراه قائمًا على أعمدة كثيرة تشبه في كثرتها وعلوها نخلاً في بادية العرب ويرى شرفاته مشرقة بنور ربها ومناراته العالية الذاهبة في السماء منزلاً للملائكة ومهبطًا للرحمة الإلهية(٤٠) ومما ترجمه عزام نظمًا من أشعار القصيدة المذكورة مايلي:

على عبدالله أنت الدليل
فأنت كهذا جليل جميل

---

(٤٠) الندوي، روائع إقبال.

بنـاء يروع وكـم من سوار
كما ازدحمت في الحجاز النخيل
على الشرفـات من الـطور نور
وفـوق المنـار سنـا جبرائيل
. . . .
من المـؤمـن السرُّ فيك بدا لي
جهـاد النهـار ووجه الليالي[٤١]

ويخاطب إقبال المسجد فيقـول: أين لنـا أولئـك الـرجـال؟! هؤلاء الفـرسـان العرب، أصحاب الخلق العظيم، أصحاب الصدق واليقين. . . لا تزال الرياح تحمل نغمات اليمن ورنات الحجاز[٤٢] وقد ترجم الزبيري الشـاعر اليمني هذه المعاني التي وردت في أشعار إقبال بالأبيات التالية:

«أين فرسان العرب أين أبطال الغلب
أين أرباب الحجى، أين أعلام الأدب

---

(٤١) عزام، إقبال في مسجد قرطبة ط السفارة الباكستانية بجدة عام ١٩٥٥م.

(٤٢) روائع إقبال ص ١٢٧.

أين أهل الخلق الفذ والدين العجب
أين ولّى ذلك المجد أم أين ذهب؟!

وينشد الزبيري أيضًا بالعربية ما قاله إقبال بالأردية:

إن أنسام اليمن لم تزل في جوه
وصدى أرضِ الحرم مشرق في شدوه(٤٣)

الشام وليبيا في شعر إقبال:

كان موقف إقبال من الغرب واضحًا، وكثيرًا ما كان يبدي رأيه الصريح في شيء من السخرية اللاذعة عندما يجد أن الأمر يستوجب ذلك، وقد سأله بعض زملائه في جامعة كمبردج: لم يُبعث الأنبياء ومؤسسو الأديان في آسيا دون أوروبا؟ فأجابه إقبال: لأن العالم مقسم بين عبّاد الله وعبّاد الشيطان، ولما كانت آسيا من نصيب عباد الله كانت أوروبا من نصيب عباد الشيطان. فقال قائل منهم: قد عرفنا رُسُلَ الله فأين رسلُ الشيطان؟ فأجابه من فوره: إنهم زعماء سياسة الخداع والمكر في

(٤٣) عمر بهاء الدين الأميري، إقبال والزبيري ص ١١.

أوروبا»[٤٤].

وفي معرض المفارقة بين الشرق والغرب وما بينهما من صلات قديمة يلمح إقبال إلى قضية سوريا الجريحة آنذاك فيقول: «الشام بالأمس أهدت المسيح بن مريم إلى الغرب فما بال الغرب اليوم يبعث إليهم بهدايا من النساء والخلاعة والموبقات».

أهدت الشام إلى الغرب نبيًا
هو عف ومواس وصبور
ومن الغرب إلى الشام هدايا
من قمار ونساء وخمور[٤٥]

ويكشف إقبال القناع عن تضليل الغرب وخداعه، ويفضح مدنيته التي ترتكز على النفاق وتحيا على الرياء والكذب وذلك عندما أنشيء مسجد باريس، ودعي أثناء زيارته لفرنسا ليزور المسجد، فرفض ذلك، ولم يتأثر إقبال بزخارف مسجد باريس لأنه عرف أنه شبكة من شباك الاستعمار لاقتناص المسلمين السذج، فيقول تحت

---

(٤٤) فلسفة إقبال ص ١٩.

(٤٥) الترجمة للدكتور عبدالوهاب عزام.

عنوان «بيرس كي مسجد» يعني مسجد باريس:

يا نظري لا يَخدعنّك فنّه

للزور هذا الحرمُ المغرب

قد أخفت الأفرنج روح موثن

في صور من حرم تَكْذِب

إن الذي شيد هذا مؤثناً

دمشق من عدوانه تخرَّب(٤٦)

وقد يتساءل البعض كيف عاش إقبال في أوروبا وهو يصورها بهذا الشكل، والجواب عند إقبال فهو يذكر تمرده

---

(٤٦) يقول إقبال تحت عنوان بيرس كي مسجد

مری نگاه کمال ہنر کو کیا دیکھے

کہ حق سے یہ حرم مغربی ہے بیگانہ

حرم نہیں ہے فرنگی کرشمہ بازوں نے

تن حرم میں چھپا دی ہے روح بت خانہ

یہ بتکدہ انہیں غارتگروں کی ہے تعمیر

دمشق ہاتھ سے جن کے ہوا ہے ویرانہ

والترجمة العربية المثبتة للدكتور عزام في ضرب كليم.

على العلوم الغربية وتفلته من شباكها واحتفاظه بعقيدته يقول:

«كنت كطائر يقع على شبكة فيقرضها ويأخذ الحَب ويطير بسلام».

ويقول أيضًا:

«يعلم الله أني دخلت في أعماق هذه العلوم واكتويت بنارها من غير أن أرزأ في عقيدتي وخُلُقي وصلتي بالله، وقد جلست في نارها بشجاعة، وخرجت منها بسلام كما كان شأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع نار نمرود»(٤٧).

ومن الشام إلى ليبيا...

ومن ليبيا يأتي الحدث الذي أجرى على لسان إقبال مرثية تعد من روائع الشعر الأردي الحديث وهي كما يقولون بالتعبير الأردي «تفتت الكبد»... مرثية كتبها إقبال تخليدًا لذكرى فاطمة بنت عبدالله التي استشهدت وهي تسقي المجاهدين في حرب طرابلس، وكانت قصة استشهاد الفتاة الشجاعة قد نشرت في مجلة الهلال الأردية

(٤٧) إقبال العرب على دراسات إقبال من مقال للندوي بعنوان إقبال في مدينة الرسول ص ٦٨ وما بعدها.

في الثـــاني عشر من نوفمـــبر عام ١٩١٢م آخـــر عام ١٣٣٠هجرية التي كان يديرها أبوالكلام آزاد ويصدرها من كلكتا، في تلك الفترة كان إقبال يسكب الدمع على ما أصـاب الأمـة المسلمة، وهذا ما جعله يخلد ذكرى فاطمـة بنت عبدالله الليبية طالما ظل المسلمون يقرأون أشعاره بالأردية أو يقرأون ترجمتها باللغات الأخرى.

وكانت إيطاليا قد هجمت على طرابلس في رمضان ١٣٢٩هـ/سبتمبر ١٩١١م ولم تكن قوات الدولة العثمانية قادرة على التصـدي لهجومها بينما أوقف الإنجليز مصر عن التـدخل، ولهذا قام الشيخ السنوسي ـ رحمه الله ـ وكـان القـائد الديني والسياسي لعرب طرابلس بإعلان الجهـاد في سبيل الله، وخـرج المسلمـون يدافعون عن بلدهم دون بنـــادق أو بارود، وبـــدون إمـــدادات أو معونات، لم يكن للأحياء ملابس يلبسونها، ولا للأموات ما يتكفنون به... وخرجت فاطمة تسقي الجرحى... لم تكن قد تجاوزت الرابعة عشرة من عمرها إلا أنها كانت تحمل في صدرها قلب أسد.. استشهدت فاطمة ولكن النار أضرمت في قلوب الآلاف من المسلمين فأنارت

ذكراها[٤٨].

وضع إقبال عنوان مرثيته هكذا «فاطمة بنت عبدالله الفتاة التي استشهدت وهي تسقي المجاهدين في حرب طرابلس» ولنقرأ بعض أبياتها في الأصل الأردي:

فاطمہ! تو آبروئے امت مرحوم ہے
ذرہ ذرہ تیری مشت خاک کا معصوم ہے
یہ سعادت حور صحرائی تری قسمت میں تھی
غازیان دیں کی سقائی تری قسمت میں تھی
فاطمہ! گو شبنم افشاں آنکھ تیرے غم میں ہے
نغمہء عشرت بھی اپنے نالہ ماتم میں ہے
رقص تیری خاک کا کتنا نشاط انگیز ہے
ذرہ ذرہ زندگی کے سوز سے لبریز ہے[٤٩]

إقبال يخاطب فاطمة بأبيات تجسد المعنى وتذيب القلب حزنًا:

«يا فاطمة! لا شك في أنك مجدُ الأمة المرحومة

---

(٤٨) يوسف سليم جشتي، شرح بانك درا ص ٤٠٧.

(٤٩) انظر كليات إقبال الأردية، ص ٢١٤.

كل ذرّة في جسمك بريئة طاهرة
كانت هذه السعادة في أن يكون نصيبك
يا حورية الصحراء
أن تسقي جند الإسلام
جاهدت في سبيل الله بدون سيف أو درع
آه . . ما أشد شوقك إلى الاستشهاد
حقًا لو ولدت رغبة الشهادة في قلب إنسان
فإنه يكون شجاعًا لدرجة أنه يخرج للجهاد كما خرجت
يافاطمة! مع أن عيوني تفيض بالدمع حزنًا عليك
إلا أن نُواحي ممزوج بلحن الفرح ممزوج بالطرب
كم يبعث فينا الطرب رقصُ ترابك
فكأن كل ذرة من ذراته مُفعمة بحرقة الحياة
ثـم يقول إقبال:

«ففي صمت قبرك ترتفع الثورة الصاخبة تعلن:
عن أمة جديدة تولد في حضنها»(٥٠)

---

(٥٠) سمير عبدالحميد، إقبال وأرمغان حجاز المرثية في أدب إقبال.

وهكذا يريد إقبال لروح فاطمة أن تهدأ في قبرها فهو إن كان يسكب الـدمع في ذكراها إلا أن حزنه يتضمن جانبًا مَن السرور لأنها أعادت إليه ذكرى الأمة المسلمة في الأيام السالفة، ومن شهادتها عرف أن أمته ستنهض من جديد، وأن جماعة من المسلمين ستظهر ترفع اسم الإسلام عاليًا في الدنيا يقول إقبال:

الآن أرى المسلمين يستيقظون من نوم الغفلة
ويظهر من بين الأمة رجال يعيدون لنا
ذكرى السلف الصالح
ويدركون في نفس الوقت مقتضيات العصر الحاضر
وأسلوبهم مثل أسلوبك - يافاطمة - التضحية والفداء[٥١].

---

(٥١) سليم جشتي، شرح بانك درا ص ٤٠٨ - ٤٠٩.

إقبال ومصر

كما ذكرنا زار إقبال مصر وألقى محاضرة في جمعية الشبان المسلمين، وتجول بالقاهرة، وزار الآثار القديمة، وكتب في أشعاره عن أبي الهول وعن الأهرامات ولكن بأسلوبه الخاص، وكان إقبال على دراية كاملة بكل ما يدور في مصر من أفكار وحركات دينية كانت أو سياسية، فقد كان الارتباط بين خطوط الفكر الإسلامي في مصر وبين مثيلها في شبه القارة الهندية واضحًا جليًّا.

كانت مصر في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وأوائل القرن العشرين تموج بقضايا كثيرة تبحث عن حلول لدى المفكرين القادة، وتتلخص في الوطنية المصرية والخلافة الإسلامية والقومية العربية، بالإضافة إلى الصراع بين القديم والجديد، وباختصار غرق أهل مصر في متاهات عبّر عنها إقبال بقوله:

«غرق أهل مصر في دوامة أمواج النيل».

وهو هنا يشير إلى اتجاه المصريين لفكرة «المصرية» أو

الانسلاخ عن العالم العربي والعالم الإسلامي والاتجاه نحو الغرب ويقول إقبال موضحًا رأيه:

«بالأمس رأيت حلمًا غير بَيِّنٍ...

رأيت مسلمي مصر والهند

وقد غرقوا في دوامة الوطنية

يا زائري ديار الإفرنج!

إنني أصرخ فيكم:

إنهم ليسوا بقادتنا فمن الخير أن تبتعدوا عنهم»(٥٢).

لم يُعجب إقبال بمسألة الوطنية حين زار مصر، ولم يعجبه الزعماء الذين قاموا في ذلك الحين بالدعوة إلى فكرة الوطنية، وتناسوا الدعوة إلى جمع شمل المسلمين بدلاً من تفتيتهم تحت فكرة الوطنية، وظل إقبال يوالي نصائحه للمسلمين بألا يقعوا في شراك سحر الوطنية وأضوائها البراقة يقول إقبال:

«أيها المسلم مازلت في هذه الحياة على معبر

فاترك وانزع عنك قيد المكان..

اترك مصر واترك الحجاز واترك أيضًا الشام»

---

(٥٢) ديوان بانك درا.

وعند تمثال أبي الهول نظم إقبال بعض الأبيات وجعل عنوانها إلى أهل مصر « اہل مصرے » .

«يا أهل مصر:

إن أبا الهول نفسَه هو الذي علمني هذه الحكمة. . .

أبو الهول صاحب الأسرار القديمة

علمني بأن هناك قوة يتغير بها تقدير الأمم

قوة لا يضارعها عقل أي حكيم

قوة لها طبع يتغير مع كل زمان

فتظهر أحيانًا في عصا الكليم

وأحيانًا في سيف الرسول الأمين»(٥٣).

والحقيقة أن إقبالاً يود أن يوضح للمسلمين أن أي نظام للحياة لا يمكن أن يعتمد على العقل فقط بل تلزمه القوة أيضًا، فإن لم توجد القوة فإن قيمة دستور العمل أو المعاهدة أو القانون لا تساوي إلا المداد الذي كتب به الدستور أو القانون، وأبوالهول علمه هذه الحكمة فالشيء الذي يغير مقاديرَ الأمم ومصائرها هو شيء ثمين

---

(٥٣) ديوان ضرب كليم.

هو القـوة ولا شيء غير القـوة، القوة التي لا يمكن أن يساويها عقل أي حكيم وكما قال أحد شعراء الأردية:

" بيكار هے سب فلسفه بندوق كے آگے "

ومعنى هذا الشطر هو: «الفلسفة كلها بلا فائدة أمام طلقات البنادق».

ومـع أن شكـل القـوة ونـوعيتها يتغير دائمًا، إلا أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها هي أن القوة كانت ضرورة لكـل زمان، وستبقى هكذا في الأزمان القادمة، وهذه القوة تظهر أحيانًا في شكل عصا موسى، وأحيانًا في سيف المصطفى - ﷺ -. والمؤمن لابد أن تكون لديه القوة ليأمر بالمعـروف وينهى عن المنكر، وإلا فلن يكون مؤمنًا بل سيكون راهبًا، ولا رهبانية في الإسلام.

وفي مصر أيضًـا كتب إقبال عن أهرام مصر ليشرح نظريته في الفن، كتب بأسلوبه الخاص ليقول إن الفنان يمكن أن يصل بفنه إلى مرحلة الكمال حين يحرر ذاتيته من تقليد الطبيعة، وبألفاظ أخرى يمكن أن توجد صفة الخلود والدوام في الفن حين تظهر في هذا الفن الأصالة والجدة Originality يقول إقبال تحت عنوان أهرام مصر:

في فضاء هذه الصحراء الصامتة المحرقة للكبد
لم تبن الطبيعة شيئًا إلا تلالاً من الرمال
يسودها الصمت والسكون
رمالٌ هي اليوم هنا وغدًا قد تكون هناك
إلا أن الإنسان الذي بنى الأهرامات
جعلها شيئًا عظيمًا
لا يزال قائمًا لآلاف السنوات
وهكذا فواجب الفنان أن يحرر فنه من عبودية الطبيعة
(عليه أن يعطي الثبات والخلود لأعماله بجهوده الذاتية)
ولتتذكر أيها الفنان دائمًا هذا الأمر
أنت لست صيدًا ولكنك الصياد
فعليك أن توجد ـ بجهدك الفكري ـ صفة الدوام[٥٤].

حين وصل إقبال إلى مصر ورأى حالها وقد مالت بعض الآراء إلى إحياء الخلافة بل اتجهت إلى تنصيب الملك خليفة، رأى أن يوجه خطابًا مهذبًا إلى الملك وإلى

---

(٥٤) نفسه، ص ٥٧٨ في كليات إقبال الأردية والترجمة بتصرف بسيط.

أصحاب هذا الرأي، يوضح لهم فيه أن فكرة الخلافة لا تعني الملك والتاج، فالخلافة أسلوب عمل إسلامي ينبع من داخل القلوب المؤمنة بربها الخاشعة لخالقها ويتساءل إقبال: (أنّي يأتي الفاروق «عمر» مرة أخرى لِيُفهم فاروق «ملك مصر» معنى الخلافة»، فما كان في ذهن إقبال هو خلافة أبي بكر وعمر وتساؤل مستمر هل يمكن أن يعود هذا الزمان الطاهر في عصرنا هذا، ولما كانت فلسفة إقبال تقوم على الحركة فهو يتمنى أن تهب رياح الصحراء من الجزيرة العربية حيث نزلت الرسالة على سيد المرسلين وأن تثير أمواج نيل مصر وأن تقوم هذه الرياح المحملة بعطر النبوة ونقاء الرسالة المحمدية بإبلاغ رسالة الفاروق عمر رضي الله عنه إلى فاروق مصر يقول إقبال:

«هبي يا رياح الصحراء من جزيرة العرب
وأثيري موج نيل المصريين
وبلغي الفاروق رسالة الفاروق
بأن يمزج الفقر والملك في نفسه
فالخلافة هي أن يكون الفقر قرينًا للتاج والملك
فما أحسن هذه الثروة التي لا تفنى

يا صاحب الحظ الفتى

لا يفلت من يدك هذا الفقر

فبدونه تموت المملكة بسرعة

إن من يعرف أسرار اليقين

يجعل النظرتين نظرة واحدة

وقد مزجتا بنور قنديلين

فلا تفكر في الفصل بين الدين والملك»[٥٥].

ونلمح من خلال هذه الأشعار ما تنبأ به إقبال للملك من زوال ملكه، وقد تحقق ما تنبأ به، لأن التجافي عن تعاليم الإسلام كان علة العلل في سقوط مُلْكِ مصرَ عن فاروق فهو في نصحه له يكرر على سمعه ضرورة أن يستجيب لداعي العقل والقلب، ويوصيه بأن يكون ذلك المؤمن الذي تبلغ به روحانية الدين ذروتها ويريد أن يرشده إلى قصد السبيل على أن يطرح القشور ويهتم باللباب، ففي نظره أن الحصيف هو الآخذ بالجوهر لا

---

(٥٥) سمير عبدالحميد، إقبال وارمغان حجاز ص ٢٢٠ - ٢٢١.

بالمظهر، فإقبال الشاعر المسلم يبدي رأيه في سياسة الملك على أســاس من مباديء الإسلام ومثله، وهي مباديء ومثل أخذ بها حكامه الأولون فتأتّى لهم أن يقيموا أعظم دولة عرفها التاريخ.

إقبال وفلسطين

قبل أن يسافر إقبال إلى القدس لحضور المؤتمر الإسلامي بسنتين ترأس اجتماعًا ضخمًا في لاهور ٣ ربيع الآخر ١٣٤٨هـ/٧ سبتمبر ١٩٢٩م للاحتجاج على رعاية الحكومة الإنجليزية لليهود في فلسطين وجاء في خطابه ما يلي:

«إن المسلمين يُستشهدون في فلسطين، وتُقتل نساؤهم وأطفالهم، وتُسفك دماؤهم في القدس التي فيها المسجد الأقصى الذي أُسري إليه بالرسول، ﷺ، والإسراء حقيقة دينية، وكان هيكل سليمان قد انهدم قبل دخول المسلمين القدس بقرون، ولم يكن اليهود على معرفة بمكان ذلك الهيكل حتى اكتشفه المسلمون، وبنوا في ذلك الموضع مسجدًا كبيراً يسمى المسجد الأقصى... لقد كانت الدول كلها تستذل اليهود وتضطهدهم، ولم يكونوا يجدون ملجأ سوى الدول الإسلامية، ولم يكتف المسلمون بإيواء اليهود بل

أعطوهم مراتب عالية، ووضعوهم في مناصب ممتازة، وظل الأتراك يعاملونهم ببالغ تسامح وإكرام، وسمحوا لهم بالبكاء بجانب جدار البراق في أوقات معينة، لذلك اشتهر جدار البراق بحائط المبكي في اصطلاح اليهود، وموضع المسجد الأقصى بكامله وقف لله تعالى في الشريعة الإسلامية، ولا يجوز امتلاكه لأحد إطلاقًا، فدعوى اليهود بامتلاك جزء من المسجد الأقصى باطلة وغير شرعية من الناحية القانونية والتاريخية»[٥٦].

ثم سافر إقبال إلى القدس، واشترك في المؤتمر الإسلامي العالمي الذي عقد في رجب ١٣٥٠هـ/ديسمبر ١٩٣١م، وألقى خطابًا في الحضور جاء فيه:

«إنني أعتقد أن مستقبل الإسلام مرتبط بمستقبل العرب، ومستقبل العرب متوقف على اتحادهم، فيفوز المسلمون إذا اتحد العرب، ويجب علينا جميعًا أن نصرف

---

(٥٦) كفتار إقبال ص ٩٣ نقلاً عن: إقبال والحضارة الغربية، ص ٢٤٥.

كُلَّ ما لدينا في إنجاز هذا الهدف والله ـ سبحانه وتعالى ـ سوف يمنحنا الفوز والنجاح»[٥٧].

على أرض فلسطين تحركت شاعرية إقبال، فنظم أبياتًا ملؤها الحرقة والحرارة يقول:

«ترك سحاب الليل في السماء نتفًا حمراء وبنفسجية
فارتدى جبل «اضم» حُللًا ملونة
وهب النسيم عليلًا بليلًا
وهفت أوراق النخيل مصقولة مغسولة بأمطار الليل
وأصبحت رمال كاظمة في نعومتها وصفائها حريرًا»[٥٨].

والأبيات السابقة من قصيدة ذوق وشوق التي اختتمها بأشعار جاء فيها:

«إن المعلومات لا تعطي الثمرات، فليس كل من درس علم النخيل تمتع بالرطب»[٥٩].

---

(٥٧) محمد حمزة فاروقي، سفر نامه إقبال ص ١٥٦.
(٥٨) روائع إقبال، ص ١٣١ وكليات إقبال ٤٠٣.
(٥٩) نفسه، ص ١٣٥ وكليات إقبال ص ٤٠٥.

أدرك إقبال أن الصليبية مع الصهيونية تتآمران ضد الإسلام والمسلمين، وأيقن أن الصليب والكنيسة كامنة في قلب كل مستعمـر سواء كان ديمقراطيًا أو اشتراكيًا وكان ذلك قصده حين قال:

«أيهـا الغـافـل! لماذا ترجـو العـطف والحنـان من الإفرنجي الغاصب؟

ألا تدري أن قلبَ الصقر لا يرق لطائر يقع بين مخلبيه»[٦٠].

لقد خطط الاستعمار الغربي والصهيونية ـ ولايزال ـ لإجلاء مسلمي فلسطين عن ديارهم لإسكان اليهود فيها واستيطانهم إياها وكـان إقبـال يرى أن تلك السياسـة الاستعـمارية تقصد إبادة المسلمين وتشتيتهم واغتصاب بلادهم، وقد أوضح هذا في خطاب له في اجتماع الرابطة الإسلامية في ربيع الآخر ١٣٥٦هـ/يوليو ١٩٣٧م كما أوضح إقبال أيضًا أنه إذا رأى المستعمر الغربي أن من حق اليهود أن يسكنوا فلسطين لأنهم سكنوها قبلًا، فلماذا لا يُعـطى الحقُّ نفسـهُ للعـرب إذا ما أرادوا أن يسكنـوا

---

(٦٠) إقبال والحضارة الغربية ص ٢٣٦.

الأندلس التي سكنوها طويلاً.

ويقول إقبال في منظومة بعنوان «شام وفلسطين»[٦١].

«مـرحى لحانـات الفـرنج فقد
ملأت بهن زَجَـاجُهـا حلبْ
إنْ في فلسـطين اليهـود رجت
فليـأخـذن أسبـانيـا العـربْ
للأنكليــز مقــاصــدٌ خفيت
ما أن يراد الشهد والرطبْ[٦٢]

حرص إقبـال دائـمًا على البعد عن كل ما يقربه من التشبه باليهود ويحكي نجله الدكتور جاويد إقبال أن أباه كان يستنكـر اللبـاس الإنجليزي وكـان ينصحـه دائمًا بارتـداء السروال والشيرواني، ويقول الدكتور جاويد: «ولو ضفرت أختي منيرة شعرها إلى ضفيرتين كان يكره ذلـك ويقول: يابنيتي لا تجدلي شعرك هكذا فإن ذلك أسلوب اليهود»[٦٣].

---

(٦١) انظر النص في كليات إقبال ص ٦١٨.

(٦٢) عزام، ضرب كليم ص ١١١.

(٦٣) إقبال والحضارة الغربية ص ٢٤٢.

عرف إقبال أن اليهود يوجهون أحقادهم ومكائدهم إلى المسلمين بصفة خاصة بينما يملكون الحكم الحقيقي في أوروبا ويقول تحت عنوان «اليهود وأوروبا» :

«انظروا فمع هذه الرفاهية السائدة في الغرب
والسيطرة والتجارة
إلا أن القلوب قلقة في الصدور المظلمة
فقد أمسى الغرب مظلمًا بدخان الآلات والمصانع
ولم يعد ذلك الوادي الأيمن يصلح ليكون مصدرًا للتجلْي(*)
فالحضارة الغربية قد أوشكت على الانهيار
وهي في عمر الشباب
وبعدها قد يتولى اليهود زمام أمور الكنيسة»

وفي ديوان أرمغـان حجاز وفي منظومة بعنوان مجلس شورى إبليس أو برلمان إبليس يقول على لسان أحد نواب إبليس :

«إن ذلك الساحر اليهودي (يعني كارل ماركس)
الذي هو نسخة أخرى من مزدك الفارسي الاشتراكي

(*) استعمل إقبال «الوادي الأيمن» لأوربا على سبيل التهكم .

قد كاد أن يفتن العالم بسحره ودهائه»[٦٤].

وفي ديوان ضرب كليم يوجه إقبال حديثه مباشرة إلى عرب فلسطين:

زمانہ اب بھی نہیں جس کے سوز سے فارغ
میں جانتا ہوں وہ آتش ترے وجود میں ہے
تری دوا نہ جنیوا میں ہے نہ لندن میں
فرنگ کی رگ جاں پنجۂ یہود میں ہے
سنا ہے میں نے غلامی سے امتوں کی نجات
خودی کی پرورش و لذت نمود میں ہے[٦٥]

قال إقبال ما معناه:

«لايزال الزمان يصلى بنار
لم تزل في حشاك دون خمود
لا دواء بلندن أو جنيوا
فوريد الفرنج بكفِّ اليهودِ

---

(٦٤) سمير عبدالحميد، إقبال وأرمغان حجاز - مجلس شورى إبليس.

(٦٥) النص ص ٦٢٢ في كليات إقبال.

ومن الــرق للشعــوب نجـاةً

قوة الذات وازدهار الوجود[٦٦]

وعـلى أرض فلسـطين زار إقبال طلاب دار اليتامى ومثل الطلاب أمامه مسرحية «قصة فتح الأندلس» وفي نهاية المسرحية طالبه الحضور بأن يسمعهم شيئًا من شعره فأنشد الأبيات التالية:

طارق چو بر کناره اندلس سفینه سوخت
گفتند کار تو به نگاه خرد خطاست
دوریم از سواد وطن باز چون رسیم
ترک سبب زروئے شریعت کجا رواست
خندید و دست خویش به شمشیر برد و گفت
هر ملک ملک ماست که ملک خدائے ماست[٦٧]

وقد نظم المعنى الدكتور عزام هكذا:

«طـارق أحـرق السفين فقالوا

ليس هذا من فعــله برشيــد

---

(٦٦) عزام، ضرب كليم ص ١١١٣.

(٦٧) ديوان بيان مشرق.

غربـــاء ومـــن لنـــا برجـــوع
ذا خطار في الشرع غير سديد
أمسك السيف طارق في ابتسام
قائـــلًا واثقًـــا بعـــزم شديـد:
ملكُنـا اليـوم خالصًا كُلَّ ملكٍ
إنـــه ملكُ ربِّنـــا المعبـــود(٦٨)

عاش إقبال يدافع عن القضية الفلسطينية وقال:

«إنني لست خائفًا من أعداء الإسلام قدر ما أخاف على المسلمـين من أنفسهم. . من الـواجب أن يتنبه العـرب بأنهم لا يستطيعون الاعتماد على من لا يملك الكفاءة والقدرة للوصول إلى رأي حول قضية فلسطين بحرية فكر واستقلال ضمير، فكل ما يقرره العرب لابد أنـه يقـروره معتمـدين على أنفسهم بعد دراسة كاملة للمشكلة التي يواجهونها»(٦٩).

---

(٦٨) عزام، رسالة المشرق ص٦٤.

(٦٩) Thoughts And Reflections of Iqbal P. 371.

وكتب مرة إلى القائد الأعظم محمد علي جناح:

«إن لمشكلة فلسطين أثرًا كبيراً في نفوس المسلمين وإنني شخصيًا لمستعد أن أذهب إلى السجن لأمر له تأثير على الإسلام، فإن وجود مركز غربي على بوابة الشرق خطير للغاية»(٧٠).

---

(٧٠) اِقبال سَب کے لئے ص ١٧٤، نقلاً عن إقبال والحضارة الغربية ص ٢٤٨.

إقبال والجزيرة العربية

أول ما نناقشه هنا فيما يتعلق بعلاقة إقبال بالجزيرة العربية هو موقفه من الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فقد أعجب إقبال كثيراً بشخصية الشيخ محمد بن عبدالوهاب وجهوده الذاتية التي لم تعرف الكلل في سبيل الإصلاح الديني وتطهير العبادة من شوائب البدع والخرافات والوثنيات التي دخلت عليه، وقد عبر إقبال عن إعجابه بالشيخ وبدعوته عندما وصفه بقوله:

«المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبدالوهاب»[71].

جهر إقبال برأيه هذا في وقت كانت دعوة الشيخ تُواجَه بضراوة في الهند، ويعتقل أحيانًا كل من يصرح بأنه من مؤيدي الدعوة[72]. وإقبال تعرف على دعوة الشيخ عن

---

(٧١) تجديد الفكر الديني في الإسلام ترجمة عباس محمود ص ٢٨.

(٧٢) مولانا منظور نعماني، الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رأي علماء الهند، ترجمة د. سمير عبدالحميد ـ تحت الطبع دار هجر.

طريق ما كان يُكتب في الهند بالإضافة إلى ما كتبه أستاذه توماس أرنولد الذي تتبع تأثير حركة الشيخ على البنغال وسومطرة وإفريقيا، وأثبت هذا في كتابه الدعوة إلى الإسلام[٧٣].

تقوم دعوة الشيخ على التوحيد، والتوحيد في رأي إقبال هو أساس الحياة، والإنسان لا يفوز بمكانته إلا بالتوحيد، والاعتماد على الله دون سواه، ووسع إقبال دائرة الشرك لتشمل عُبّاد الوطن وعُبَّاد البطون، وأشار إلى أن التوحيد مهم للفرد كما هو مهم للأمة، فالفرد يصبح ربانيًا، والأمة تصبح جبروتًا، ذلك أن الفرد يؤمن بوحدانية الله ولا يسلم قلبه لغيره فيتخلق بأخلاق الله وإذا تخلق أفراد الأمة بأخلاق الله تفوقت الأمة على أمم العالم جميعًا.

وإقبال قرأ مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وصرح بأنه يُكنُّ له ولتلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء

---

(٧٣) انظر ترجمة د. حسن إبراهيم وآخرين للكتاب ـ ط مصر ١٩٤٧م.

السلفيين تقديرًا كبيرًا(٧٤).

ولا أود هنا أن أفصل الحديث بل اختصر فأقول إن في شعر إقبال ما يفيد تأييده لدعوة الشيخ خاصة أن الهجوم على الدعوة في الهند تركز على قضية الأضرحة والقبور، وهناك فِرَقٌ في الهند كانت ـ ولاتزال ـ تقدس القبور والموتى، ويهاجم إقبال علانية المشايخ القائمين على الأضرحة وينقد استغلالهم للناس السذج عن طريق إقامة الموالد ووضع صناديق النذور: قائلاً في ديوان بال جبريل:

«إنهم لو وجدوا حصير الزهراء ودلق أويس القرني وغطاء أبي ذر الغفاري لأكلوا السحت من أثمانها»(٧٥).

---

(٧٤) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب جـ٢ ص ٤٥٨ ـ ٤٥٩ طبع إدارة الثقافة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٧٥)

یہی شیخ حرم ہے جو چرا کے بیچ کھاتا ہے
گلیم بوذر و دلق اویس و چادر زہرا!

وإقبال يتحسر على حالة الشيوخ فكل شيخ في دائرته قد زين متجره بأسماء عظماء الصحابة والتابعين، أما دواخِلُهم فقد فرغت من زهد وورع أبي ذر الغفاري ومن عشق ومحبة أويس القرني وعفة وطهارة فاطمة الزهراء، وما يفعله هؤلاء الشيوخ هو أنهم يبيعون أسماء هؤلاء الأطهار، كما أنهم ابتلوا خلق الله بمرض الفرقة والخصام.

أما طواف الأضرحة الذي راج بين بعض مسلمي الهند مخالفة للشرع فقد رفضه إقبال تمامًا، لأنه يتنافى مع شرع الله، وما أروع الشاعر حين قال في قصيدة بعنوان فاطمة الزهراء:

نسب المسيح بني لمريم سيرة
بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرق من ثلاث مطالع
في مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنت من؟ هي زوج من؟ هي أم من؟
من ذا يداني في الفخار أباها

إلى أن يقول:

فمها يرتل آي ربك بينما يدها

تديــر على الشعــير رحــاهـا

بلّت وســادتَهــا لآلئُ دمعهـا

من طول خشيتهـا ومن تقواها

ثم يعلن إقبال صراحة :

لولا وقـوفي عند أمر المصطفى

وحـدود شرعتـه ونحن فداهـا

لمضيت للتطواف حول ضريحها

وغمرت بالقبلات طيب ثراها(٧٦)

فإقبال يعلن صراحة في البيتين الأخيرين عن عقيدته الصحيحة وعن سلفيته وعن اتباعه لسنة النبي وللشرع ومحافظته عليه مهما كان الأمر.

مكانة الجزيرة العربية وأهلها في قلب إقبال

ملكت الجزيرة العربية على إقبال قلبه وعقله ووجدانه وعـواطفه، ولم لا؟ وفيها الحرمان الشريفان ولم لا؟ وهو يتجه إلى الكعبة في يومه خمس مرات على الأقل، ولم لا؟

(٧٦) الأعظمي وشعلان، فلسفة إقبال ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

وعلى أرضها كانت بعثة نبي الرحمة، ومنها انطلق المجاهدون ينشرون النور في كل مكان، يضيئون ظلمات الجهل بأنوار الإيمان، ومن هنا جاءت أشعار إقبال مليئة بالحديث عن كل مكان في الجزيرة العربية، وجاءت صوره الشعرية وتشبيهاته مأخوذة من معالم الجزيرة العربية، وهاهو إقبال يتخيل نفسه يمضي عبر الجزيرة العربية في رحلة إلى مكة المكرمة ومن مكة إلى المدينة، ونلاحظ هنا الأثر العربي في شعره واضحًا جليًا فهو يذكر الخيمة والرحيل والمحمل، ويركب ناقته ويرجوها أن تتهدى في سيرها فالراكب مجروح ومريض وعجوز، ولكن الناقة كما قال: «**سارت تخطو كالسكران حتى أنك تظن أن رمال الصحراء أضحت تحت قدميها حريرًا**».

ويتحدث إقبال عن الصحراء وجمالها حيث تمضي القوافل، وتتلى الصلوات وتساق المحامل، وهو رغم جهله بالنغمات العربية إلا أنه صار شريكًا مع نغمات ناقته التي ترافقه، والشاعر لا يريد أن ينهي رحلته بسرعة فهي متعة له وإن طالت ويقول:

«اختر أيها الحادي الطريق واجعل حرقة فراقي أشد حرارة»[٧٧].

وفي ديوان ارمغان حجاز «هدية الحجاز» يوجه إقبال حديثه إلى أهل الجزيرة العربية في عدة رباعيات بالفارسية تحت عنوان: «ياابن الصحراء» فيقول:

«حين هبط النور على الصحراء في الأسحار
غرد طائر على غصن النخيل
اقلع خيمتك وارحل يا ابن الصحراء
فلا حياة دون تذوق الرحيل
جعل الله العرب أدلاء للقوافل
وامتحنهم بفقرهم
لو أن فقر الفقراء ذو حمية
فمن الممكن أن يقلب الدنيا رأسًا على عقب

إلى أن يقول:

الجسد والروح كلاهما محكم بهواء البادية
وسط الصحراء المترامية

---

(٧٧) سمير عبدالحميد، إقبال وأرمغان حجاز ص ١٢٨ - ١٢٩.

إن ظهور الأمم

يكون من بين الجبال والأودية»[٧٨]

وإقبال لا يريد لأحد أن يسيء فهم أشعاره هنا فهو لا يقول الشعر ليلهو أو يتسلى، أو يتحدث عن الحسان أو يتغزل فيهن، بل هو يبلغ رسالة سامية، وأفكارًا عالية اقتبسها من آيات القرآن الكريم:

«وقـــل للشـاعـر العـربي عني

ليـاقـوت الشفـاة البخس مني

قبست النـــور بالقــرآن حتى

جعلت الليل لي فجرًا يغني[٧٩]

ولايزال إقبـال يمضي في صحـراء الجـزيرة العـربية فيخاطب أهلها قائلاً:

«اكتست صحراء العرب بفضل هذا النبي الأمي حلة أنيقة

---

(٧٨) نفسه، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ت.

(٧٩) د. مجيب المصري، إقبال والقرآن ص ١٥١ ط الأنجلو المصرية.

وأنبتت زهرة يانعة
إن عاطفة الحرية نشأت في ظل هذا النبي
وترعرعت ونمت في حجره
وهكذا كان يومُ هذا العالم المعاصر مدينًا لأمسه»(٨٠)

ظل إقبال يذكر الجزيرة العربية وأهلها في كل مكان ارتحل إليه، ذكرها وهو في مصر، وذكرها وهو في القدس وذكرها وهو في أوروبا وذكرها وهو في أفغانستان وذكرها وهو في الهند.

في أسبانيا كتب عن طارق يدعو الله وهو يخوض الجهاد في سبيل الله فقال:

«لقد أكرمت يارب العرب سكان الصحراء بنعم فريدة
في العلم والإيمان وأذان الفجر..
كانت الحياة قد فقدت حرارتها منذ قرون طويلة
فوجدتُها من جديد في قلوبهم الفائضة بالإيمان والحنان
إنهم لا ينظرون إلى الموت كنهاية لهذه الحياة
إنهم يرون فيه فتحًا جديدًا وعيشًا جديدًا
أعد يارب إلى هذه الأمة المؤمنة الحمية الدينية

---

(٨٠) الندوي، روائع إقبال ص ٢٠٦.

التي كانت كامنة في صيحة «لا تذر»
ولتوقظ في الصدر العزائم والهمم
واجعل نظرات هؤلاء المسلمين كالسيف ترهب الكفار»(٨١)

وفي ديوانه «بس جه بايد كرد أي أقوام شرق» يخص أهل الجزيرة بفصل يقول فيه:

أرضـك الصحراء تبقى للأبد
من بُهْلِك للملوك الصوتَ مد
في رحاب الأرض عش قاصٍ ودان
من كلام الله أجـري في لسـان
رمـز «إلا الله»(*) مَنْ قد لقنوه
ذلـك المصبـاح أين أوقدوه(٨٢)

وفي ديوان الأسرار والرموز يوصي إقبال بالرجوع عن ترف العجم ورخاوتهم إلى خشونة العرب وقوتهم وجهادهم:

---

(٨١) دعاء نوح: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾.

(*) لا إله إلا الله.

(٨٢) د. المصري، إقبال والقرآن ص ١٧٩.

«من بفكـــر صالـح في الأدب
ارجعن يا صاح شطر العـرب
وسُليمى العرب ياصاح اعشق
أطلعن صبـح الحجاز المشرق
فاشربن حر الصحاري ياصديق
اشربن من تمرها الراح العتيق
أسلمن رأسـك يومًـا صدرهـا
والغنى في حرها وصرصرها»[83]

وفي أفغانستان يتذكر إقبال أهل الجزيرة العربية ويرى أن عليهم قيادة العـالم الإسلامي، ويريد أن يظهر من بينهم خالد أو فاروق آخر:

«إن شمس الأمة الإسلامية قد غربت وتوارت بالحجاب
فالعربي فقد رشده وضل طريقه في الصحراء
فذهبت روح لا إله إلا الله عن قلبه
. . . .
فلا يوجد خالد ولا الفاروق ولا صلاح الدين»[84]

---

(٨٣) عزام، الأسرار والرموز، ص ١٨ .
(٨٤) من ديوان بيان مشرق، ص ١٧ ـ ١٨ .

إلا أن إقبالًا لا يفقد الأمل ويرى أن الصحراء ستنجب بلا شك أسدًا يقود المسلمين، يقول مخاطبًا أوروبا:

«لقـد سمعت من أصحـاب المعرفة والكرامة أن ذلك الأسـد الـذي قلب حكم الـروم وقضى على حضارتها في السابق عقب خروجه من الصحراء، سوف يصحو من نومه من جديد».

ولـما كان إقبـال يضع أمله في أهل الجزيرة العربية فهو يخاطبهم ذاكرًا فضلهم أحيانًا ومعاتبًا أحيانًا أخرى ومعتذرًا لهم في النهاية:

«أيها العرب قد مَنَّ الله عليكم إذ جعلكم مثل السيف البتّار أو أحدَّ منه..

وكنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصحراء فسخر لكم الله المقادير

وهناك دوّت تكبيراتكم وصلواتكم

وزمزمت جلبةُ حروبكم وغزواتكم

فارتج بها ما بين الشرق والغرب

فما أحسن تلك المغامرات وما أجمل تلك الغزوات

أسفًا على هذا الخمود والجمود أيها العرب

ألا ترون كيف تقدمت الأمم الأخرى وسبقت
أما أنتم فما قدرتم قدر هذه الصحراء التي نشأتم فيها
وهذه الحرية التي ورثتموها
كنتم أمة واحدة أمة الإسلام فصرتم اليوم أممًا
وكنتم حزبًا واحدًا حزب الله فأصبحتم أحزابًا
لقد فرقتم جمعكم ومزقتم شملكم وانقسمتم على أنفسكم

. . . .

إن الله رزقكم البصيرة النافذة
ولاتزال فيكم الشرارة كامنة
فقوموا أيها العرب
وأعيدوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى

. . . .

يارجل البادية، ويا سيد الصحراء
عُد إلى قوتك وإلى عزتك
امتلك ناصية الأيام وخذ عنان التاريخ
وَقُدْ قافلة البشرية إلى الغاية المثلى

. . . .

معذرة يا عظماء العرب!

لقد أراد هذا الهندي أن يخاطبكم ويقول لكم كلمة صريحة
فلا تقولوا أيها الكرام: هندي!
ونصيحة للعرب مني:
أنتم يا معشر العرب أسبق الأمم إلى معرفة حقيقة هذا الدين
وأنه لا يتم الاتصال بمحمد إلا بالانقطاع عن أبي لهب
وأنه لا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت»(٨٥).

وقد نظم الأعظمي والصاوي شعلان بعض أبيات القصيدة السابقة نذكر منها:

وي كأن لم تُشرقوا في الكائنات
بهُدى الإيمان والنهج الرشيد
ونسيتم في ظَلام الحادثَات
قيمة الصحراء في العيش الرغيد
كل شعب قام يبني نهضة
وأرى بنيانكم منقسما
في قديم الدهر كنتم أمة
تلهف نفسي كيف صرتم أمما

---

(٨٥) الندوي، روائع إقبال ص١٠٩.

فكــروا في عصركم واستبقـوا
طالمـا كنــتـم جمالاً للعُصرُ
واملأوا الصحراء عزمًا واخلقوا
مرة أخـرى بها روح عمر»[٨٦]

ولم ينس إقبال نجد وأهل نجدَ ففي أشعار نظمها في مدح الرسول، ﷺ، يقول:

مهجـةُ المسلم مثوى المصطفى
عزة المسلم ذكـرى المصـطفى
خلوات في حراء خلقـا
أمـةً منهـا وحـكـمًا مشرقـا
كم ليـال قد قضـاهـا ساهـدًا
فحبـا بالأمـة ملكًـا خالـدًا
عشقــه في القلب نور أسفـرا
للثـريـا يرتقي منــه الثـرى
تُرْب نجـد منه قد خف وضاء
طار وجدا مصعدا نحو السماء[٨٧]

---

(٨٦) الأعظمي وشعلان، فلسفة إقبال ص١٠٨ ـ ١٠٩.
(٨٧) عزام، الأسرار والرموز ص١٩.

ويرسم إقبال صورة جميلة لوادي نجد إلا أنه حزين فلم يعد يسمع أصوات القوافل الراحلة، ولم يعد هناك قيس الـذي يجن بمنـظر المحمـل (الذي يحمل ليلاه) والشعر الأردي من أجمل ما نظم إقبال:

وادی نجد میں وہ شور سلاسل نہ رہا
قیس دیوانہ نظارہ محمل نہ رہا
حوصلہ وہ نہ رہا ہم نہ رہے دل نہ رہا
گھر یہ اجڑا ہے کہ تو رونق محفل نہ رہا(٨٨)

. . . .

يقول إقبال ما ترجمته:

«مـازال قيس والغـرام كعهده
وربـوع ليـلى في ربيـع جمالهـا
وهضاب نجد في مراعيها المها
وظبـاؤها الخفرات ملء جبالها
والعشق فيـاض وأمـةُ أحمـدَ
يتحفـز التـاريخ لاستقبـالهـا

(٨٨) النص الأردي من كليات إقبال.

لو حاولت فوق السماء مكانة
رقّت على شمس الضحى بهلالها
ما بالها تلقى الجدودَ عواثراً
وتصدها الأيام عن آمالها[٨٩]

وفي ديوان الأسرار والرموز يتضرع إلى الله أن يرحم المسلمين وأن يخلق فيهم إيمان سلمان وبلال، ويرجو الله أن يمنحهم دواء يخلصهم من عبودية غير الله ويقول: يا إلهي إن سبب مصائب القوم هو انقسام المسلمين إلى فرق متناحرة متحاربة فليس هناك وحدة فكر، ولا وحدة عمل، فجدد يا إلهي في قلوبنا شرع المحبة حيث يمكن أن نعلو في الدنيا، وأطلعنا على المفهوم الحقيقي للتوحيد حتى يمكن أن نواجه الباطل».

وهو هنا يلمح إلى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وإلى قيام الملك عبدالعزيز بحماية الدعوة في ذلك الوقت ويصرح إقبال بعدها بما يريد فيقول:

«قلت عن أحباب نجد قصتي
حدثت عن روضةِ نجدٍ نفحتي

---

(٨٩) الأعظمي وشعلان، فلسفة إقبال ص ٨٦ ـ ٨٧.

فأضـــاء الحفـل من لحني إيـاه

ودرى قومي أسرار الحيـــاة[٩٠]

(أياه: شعاع الشمس)

(٩٠) عزام، الأسرار والرموز ص ١٥٠ وما بعدها.

إقبال وتوحيد الجزيرة العربية

كان إلغاء الخلافة الإسلامية من جانب مصطفى كمال صدمة لمسلمي الهند ومنهم إقبال، كما كان للموقف السلبي لرضا شاه بهلوي أثره على المسلمين وظل إقبال يتطلع هنا وهناك يتطلع لعله يرى قائدًا يقود قافلة المسلمين التي راحت تبتعد عن منزلها يومًا بعد يوم، يقول إقبال:

«شدوت حتى مزقتْ شقائقُ النعمان جيوبَها وجدًا، ونسيم الصبح لايزال يطلب روضًا يُنضر أزهاره، لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوي مظهر لروح الشرق، والروح تطلب الآن شخصية أخرى تظهر فيها».

«جيب الشقائق غدا مُزقا

ونسمة الصبح روضًا تطلب الآنا

ما مصـطفى أو رضـا جلّ حقيقتهـا
فالروح في الشرق جسمًا تطلب الآنا»[91]

شغلت قضية الخلافة العالم الإسلامي، وكانت يومذاك تشغل أمراء العرب وخصوصًا الملك حسين الذي سعى ليكون خليفة المسلمين وأميرًا للمؤمنين عن طريق مهادنة الإنجليز[92] وتفجر إقبال بكاءً وهو يلقي قصيدة أمام حشد من المسلمين في اجتماع جمعية حماية الإسلام وبكى معه الحاضرون حين وصل إلى هذا البيت:

«يبيع الهاشمي عزة دين المصطفى صلى الله عليه وسلم
ويتقلب التركي المجاهد في الدم والتراب
آه لقد صار دم المسلم رخيصًا كالماء. . .»

ووجه إقبال نداءه إلى قادة المسلمين آنذاك إلى الملك فؤاد وإلى الأمير فيصل وإلى الملك عبدالعزيز قائلاً:

---

(٩١) عزام، الأسرار والرموز.

(٩٢) أمين الريحاني، نجد وملحقاتها وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ الطبعة الرابعة ١٩٧٠م مؤسسة الريحاني.

يا فؤاد! يا فيصل! يا ابن سعود!
إلى متى تظلون هكذا متفرقين
إلى متى تغفلون عن مصلحة الأمة الإسلامية
حان الوقت لتتحدوا لرفعة شأن الإسلام
ليت عبدًا من عباد الله يأتي
فيظهر ولولة الجهاد في قلوب الأمة»[٩٣].

لم يكن إقبال ليرضى بتدخل الإنجليز في الحجاز بأي شكل من الأشكال، حتى ولو كان بتأسيس عمل خيري كبناء مستشفى مثلاً، وقد خطط الإنجليز، قبل دخول الملك عبدالعزيز الحجاز أو قيام المملكة العربية السعودية، لإقامة مستشفى يستغلون المسلمين عن طريقه في بث دعاياتهم، فأعلنت الحكومة البريطانية عن جمع تبرعات من مسلمي الهند لتأسيس مستشفى مجانية لخدمة الحجاج في أرض الحجاز وبخاصة في جدة، فجاء إلى إقبال مولانا ظفر علي خان مدير جريدة زميندار، وقال له إن تقديم هذه الخدمات المجانية من قبل الإنجليز

---

(٩٣) مثنوي مسافر.

مكيدة لتمهيد الطريق للتدخل في شؤون البلاد المقدسة للمسلمين، وتأثر إقبال حين رأى مولانا ظفر وهو يكاد يبكي، فقال له إقبال: لا تحزن يا أخي أرسل خادمك في المساء ليأخذ مني بعض الأشعار وانشرها في الجريدة وإن شاء الله لن يتبرع المسلمون وكتب إقبال الأبيات التالية تحت عنوان مستشفى جدة:

يا أساة الحجاز هلا علمتم
أن برء الحياة أرض الحجاز
إن سر الحياة يكمن في الموت
فيحكي حقيقة في مجاز
فَرَحُ المؤمنين في سكرة الموت
بقرب المهيمن المتعالي
هو أسمى من عيشة الخضر في
الدنيا طوال الدهور والأجيال
لم جئتم للمؤمنين ببرء
إن إيمانهم يداوي الجريحا
والذي ذاق من يد الوحي كأسًا
ليس يحتاج للدواء مسيحا

كل كون أبلتـه أيـدي الليـالي

أحــرقــوه ليصنعــوه جديـدًا

يهدم الـبـيت بعــد حين ليبني

منـزلاً عاليًـا وقصرًا مشيدا(٩٤)

فإقبال يقول: «لا تنصحني يا أخي بالتبرع لتأسيس مستشفى الحجاز بجدة فإن الحياة كامنة في حجاب الموت كما تكـون الحقيقة مستورة في المجاز أحيانًا فاللذة التي يجدها العاشق في سكرة الموت لم يجدها الخضر في عمره الطويل، فلا تبشرني ببشرى الحياة هذه بينما أنا أبحث عن وفــاتي في أرض الحجـاز فلا تبشرني بالشفـاء فإن المستلذ بالألم لا يبالي بالطبيب».

يلقي إقبال الضوء على الحياة في الحجاز قبل توحيد الجزيرة العربية وقيام المملكة العربية السعودية، ويشير إلى الفوضى والاضطراب وعدم استتباب الأمن وانتشار قطاع الطريق الذين كانوا يغيرون على قوافل الحجيج، ولكنه كشاعر يتخذ من الحدث المفرد موضوعًا يعبر به عن

---

(٩٤) بانك درا ص ١٩٨ ضمن كليات إقبال الأردية.

مشاعره ويعرف الناس برسالته الشعرية، وحدث أن توجهت قافلة من قوافل الحجيج من مكة إلى المدينة ففاجأها قطاع الطرق واستولى الرعب على رجال القافلة وسقطوا فريسة للنهب والسلب إلا فتى بخاريًا صمد للموت ولكنه نجا وسار وحيدًا يناجي أشواقه إلى المدينة:

«هل أتاكم حديث قافلة الحجاج
إذ غالها عدو مَريدُ
في طريق المدينة انتهب الركبان
والمنزل المراد بعيد
يسأل العابرون عن ساحل الصحراء
والجو موحش عربيد
فتلقتهم المخاوف بالمو
ت وضلت بهم فياف وبيد
غير ذاك الفتى البخاري لم
يبرحه إيمان قلبه الوثاب
يتمنى في الشوق سم المنايا
كتمني الظمآن برد الشراب

ملء جنبيه للمدينة شوق

كتمني الظمآن برد الشراب

ويرى الخنجر المصوب بالموت

إلى صدره هلال العيد

كان خوف الردى يقول له ارجع

ويقول الإيمان سر في أمان

ومضى آمنًا وحل كريمًا

وتلقته روضة الرضوان

قد يسير الحجيج في المحمل

الشامي في مأمن من الأخطار

ونعيم الشوق يعرفه من ذاق

شر الأخطار بين القفار

يخسر العقل نوره حين يأوي

قانعًا بالهوان خوف الخسارة

إن في لذة التاعب ربحًا

معنويًا يفوق ربح التجارة[٩٥]

---

(٩٥) الأعظمي والصاوي شعلان، فلسفة ص ٧٣.

وسط الظروف الحالكة للعالم الإسلامي وضع إقبال أمله في ظهور من يقوم بتأمين أمن الحجاز ومنع أي تدخل أجنبي في شؤون المقدسات الإسلامية، ورأى أن من يمكنه أن يؤدي هذا الواجب إنما يكون من قلب هذه الصحراء، فأمة الصحراء أمة خالدة:

أمة الصحراء يا شعب الخلود
من سواكم حل أغلال الورى
أي داع قبلكم في ذا الوجود
صاح لا كسرى هنا لا قيصرا
من سواكم في حديث أو قديم
أطلع القرآن صبحًا للرشاد
هاتفًا في مسمع الكون العظيم
ليس غيرُ الله ربًّا للعباد(٩٦)

ويوجه إقبال أشعاره إلى المغفور له الملك عبدالعزيز بصفته سلطان الحجاز وذلك بعد توحيد الجزيرة العربية:

«أنت سلطان الحجاز وأنا هندي فقير
لكني في مملكة المعاني قدير

(٩٦) نفسه، ص ١٠٧.

الدنيا التي نبتت من بذرة لا إله إلا الله
تراها في أحضان ضميري
هيا نمضي معًا
إلى مدينة الرسول
نرويها بدموعنا
ونحمل رسالته للعالم أجمع
يا ابن سعود!
مقامك في صحراء مساؤها متجلٍ كالصباح
أعطاك الله ملكًا واسعًا
فابسط خيمتك كيفما تشاء
واعلم أن استجداء الطناب من الآخرين حرام
فنحن المسلمين أحرار من قيد المكان والزمان
(فالدين عند الله الإسلام)
نحن لا نسجد لغير الرحمن
فاجعل ـ أيها السلطان ـ بينك وبين صنم الأفرنج بونًا شاسعًا
فعهده وميثاقه لا يساويان حبة شعير
خذ النظرة من عين الفاروق

أوجد بداخلك فراسة المؤمن
وضع القدم الجريء في العالم الجديد»[٩٧]

ورغم أن إقبالاً ولد في الهند وعاش بها وتكلم لغتها، إلا أنه يؤكد على أنه كمسلم فهو عربي وأن فكره بأكمله عربي وأن كلامه عربي:

إن الجواهر حيرت مرآة هذا القلب
فهـو على شفـا بركـان
أسـمعهمـو يارب ما ألهمتني
وأعـد إليهم يقـظة الإيـمان
وأذقهمُ الخمـر القـديمـة إنها
عين اليقـين وكـوثـر الرضوان
أنـا أعجمي الدن لكن خمرتي
صنـع الحجـاز وكرمها الفينان
إن كان لي نغمُ الهنـود ولحنُهم
لكن هذا الصوتَ من عدنان[٩٨]

---

(٩٧) سمير عبدالحميد، إقبال وارمغان حجاز ١٢٠٨ - ١٢٠٩.
(٩٨) الأعظمي وشعلان، فلسفة إقبال، ص ٨٨.

ثبت بأهم مراجع البحث

(*) د. أحمد معوض
العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ط هيئة الكتاب بمصر ١٩٨٠م.

(*) أرنولد. توماس
الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم وآخرين ط مصر ١٩٤٧م.

(*) إقبال. محمد إقبال
كليات إقبال الفارسية ط لاهور ١٩٧٨م
كليات إقبال الأردية ط لاهور ١٩٧٨م
تجديد الفكر الديني في الإسلام ترجمة عباس محمود ط القاهرة.

(*) أمين الريحاني
نجد وملحقاتها وسيرة عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ط مؤسسة الريحاني الطبعة الرابعة عام ١٩٧٠م.

(*) جاويد إقبال
زنده رود ط أولى لاهور ١٩٨٢م.
(*) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (مجموعة من الأساتذة) بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب جـ٢ ط. إدارة الثقافة بالجامعة.
(*) جامعة البنجاب (مجموعة من الأساتذة)
تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند جلد سوم فارسي ادب ١٩٧٢م.
تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند جلد دهم اردو ادب ١٩٧٢م.
(*) د. حسين مجيب المصري
إلى السماء ط الأنجلو المصرية
إقبال والقرآن ط الأنجلو المصرية
هدية الحجاز الأنجلو ١٩٧٥م
روضة السر الجديد الأنجلو المصرية
(*) خليل الرحمن عبدالرحمن
محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ط دار حراء بمكة ١٤٠٨هجرية.

(*) د. رفيع الدين هاشمي

خطوط إقبال ط لاهور ١٩٧٦م.

(*) د. سمير عبدالحميد إبراهيم

إقبال وديوان ارمغان حجاز ط المكتبة العلمية بلاهور.

الأسرار والرموز تحقيق ودراسة ط أولى المكتبة العلمية بلاهور.

(*) سيد جراغ حسن

إقبال نامه ط تاج كمبني كراتشي

(*) الصاوي شعلان

مختارات من شعر إقبال إسلام أباد ١٩٧٤م

الأنشودة العربية ط طهران ١٩٦٨م

شكوى وجواب شكوى ط القاهرة ١٩٧٣م

إيوان إقبال ط القاهرة.

(*) د. ظهور أظهر

إقبال العرب على دراسات إقبال المكتبة العلمية بلاهور.

(*) د. عبدالوهاب عزام
محمد إقبال سيرته وفلسفته بيروت ١٩٧٢م
إقبال في مسجد قرطبة جدة ١٩٥٥م
الأسرار والرموز القاهرة ١٩٥٥م
ضرب كليم القاهرة ١٩٥٢م
بيام مشرق ١٩٥١م

(*) د. عدنان النحوي
الأدب الإسلامي ط الثانية ١٤٠٧هجرية دار النحوي بالرياض.

(*) عمر بهاء الدين الأميري
إقبال والزبيري ط السفارة الباكستانية بالرياض وجدة.

(*) محمد حسن الأعظمي والصاوي شعلان
فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان ط دمشق ١٩٧٥م.
الحياة والموت في فلسفة إقبال ط كراتشي ١٩٧٤م.

(*) محمد حمزة فاروقي
سفر نامه إقبال ط لاهور.

(*) نجيب الكيلاني

إقبال الشاعر الثائر ط دمشق مؤسسة الرسالة ١٩٨٠م.

(*) أبو الحسن الندوي

روائع إقبال ط الكويت ١٩٧٨م

(*) يوسف سليم جشتي

شرح بانك درا ط لاهور عشرت ببليكشن هاوس

شرح ضرب كليم ط لاهور نفسه

شرح أسرار خودي ط لاهور ط ٤ نفسه

شرح رموز بيخودي ط لاهور

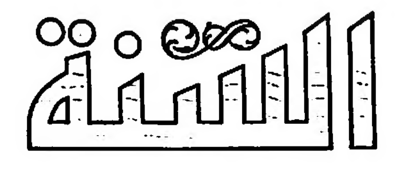
شرح جاويد نامه ط لاهور

شرح ارمغان حجاز ط لاهور

فهـرس

صدر من
مكتبة دار السلام

فتنة انكار



السنة

في شبة القارة الهندية الباكستانية



اعداد
د/ سمير عبد الحميد ابراهيم
أستاذ مشارك بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية